التوحيد

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٨١ السنة التاسعة والأربعون - جمادى الأولى ١٤٤١ هـ
الثمن ٥ جنيهات

محمد
صلى الله عليه وسلم

الفتوى: مكانتها وضوابطها

◆◆◆

العقوق بين إهمال الآباء وتفريط الأبناء

◆◆◆

إذا ضُيّعت الأمانة فانتظر الساعة

◆◆◆

وقوع الطلاق البدعي

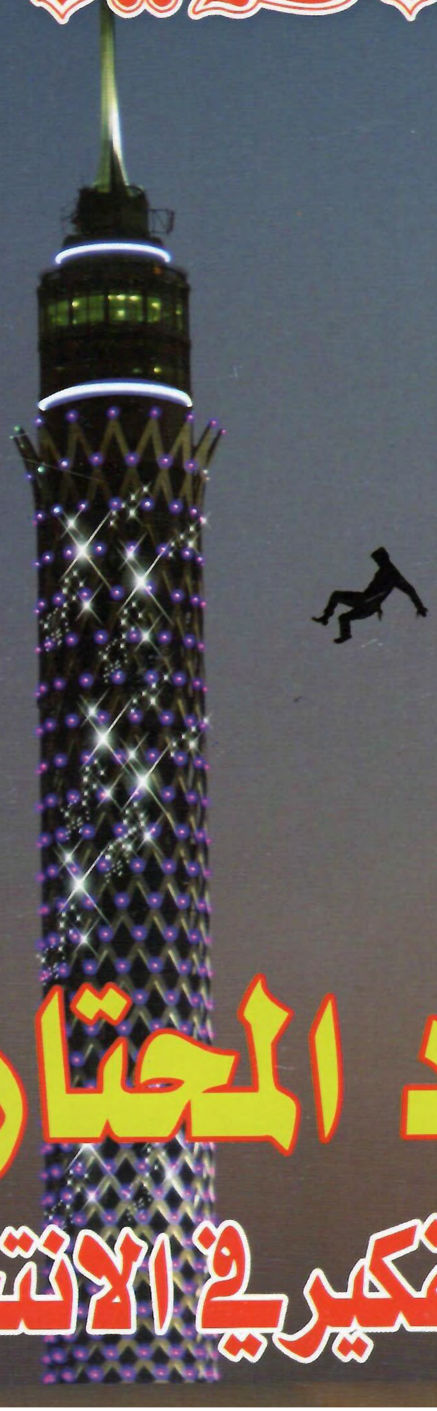

رد المحتار عن التفكير في الانتحار

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

ضمانٌ بضمانٍ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اضمَنوا لي ستًّا أضمَنْ لكم الجنَّةَ: اصدُقوا إذا حدَّثْتُم، وأوفوا إذا وعَدْتُم، وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، واحفَظوا فُروجَكم، وغُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديَكم». (أخرجه أحمد، وابن حبان، والحاكم).

هذه ست خصال يسيرة: بعضها في اللسان، وبعضها من عمل القلب والجنان، وبعضها من عمل الجوارح والأركان، فأما ما كان منها من عمل اللسان: فصدق الحديث، وأما ما كان منها من عمل القلب: فوفاءٌ بالوعد، وأداءٌ للأمانة، وأما ما كان منها من عمل الجوارح: فحفظ الفرج، وغض البصر، وكف اليد، فمن ضمن هذه الخصال الست، ضمن له النبي الأمين صلى الله عليه وسلم النجاة من النار، والفوز بالجنة، فهو ضمان بضمان.

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

الفتوى.. مكانتها وضوابطها: د. عبد الله شاكر ٢
نظرات في أحكام الطلاق: محمد عبد العزيز ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
أسس الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٣
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة في الزكاة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
منبر الحرمين: د. ماهر المعيقلي ٢٦
من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة:
عبد الرزاق السيد عيد ٣٠
بحار الفتن وسفن النجاة: د. عماد عيسى ٣٤
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤١
مفهوم لغة الجسد: د. ياسر لمعي ٤٤
رد المحتار عن التفكير في الانتحار:
المستشار أحمد السيد علي ٤٧
العقوق بين إهمال الآباء وتفريط الأبناء:
جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
حوار هادئ: عبده أحمد الأقرع ٦١
محاسبة النفس طريق النجاة: صلاح نجيب الدق ٥١
فصول من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: د. سعيد صوابي ٦٩
من أخلاق حملة القرآن: د. أسامة صابر ٧١

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم ١٩١٥٩٠/

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

الفتوى: مكانتها وضوابطها

الرئيس العام أ.د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن منصب الإفتاء عظيم ومكانته كبيرة، وقد اعتنت به الدول الإسلامية، فأسسوا دورًا للإفتاء في كل بلد؛ تلبية لحاجة الناس إلى معرفة الأحكام الشرعية التي نزلت من لدن ربّ البرية، وإدراكًا مني لأهمية هذا الموضوع، ولحاجة المسلمين إليه، ولأنه دخل فيه من لا يحسنه أحببتُ الكتابة حوله، وسأحصر كلامي في نقاط محددة، وأسأل الله التوفيق والسداد.

أولاً: تعريف الفتوى في اللغة والاصطلاح:

الفتوى في اللغة: الإبانة والإجابة عن سؤال السائل، يقال: أفتيته في مسألته إذا أجبته عنها، وهي أيضًا: تبيين المشكل من الأحكام. (انظر: لسان العرب ج١٥/١٤٧).

وقال الراغب: الفتيا والفتوى: الجواب عما يشكل من الأحكام. (المفردات في غريب القرآن ص٥٦١).

وأصله من الفتى، وهو الشابّ الحدث الذي شبّ وقوي فكأنه يُقوّي ما يُشكل بيانه، وقد وردت في القرآن الكريم في أحد عشر موضعًا كلها تدل على أنها تقع جوابًا على سؤال سائل، ومن ذلك قوله تعالى: « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ » (النساء:١٢٧)، ولا تقتصر الفتوى على التبيين فحسب، بل تتعدى ذلك فتشمل الشورى والنصيحة، كما في قوله تعالى: « قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ » (النمل:٣٢)، قال ابن كثير رحمه الله: «لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها، وما قد نزل بها، ثم ذكر الآية». (تفسير ابن كثير ج٣/٤٩٥).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «أفتوني في أمري» أي: بيّنوا

> المفتي في الشرع: هو الفقيه المجتهد الذي يرجع إليه الناس في معرفة ما يخفى عليهم من أحكام الدين.

لي ما أفعل، وأشيروا عليَّ، قال الفراء: جعلت المشورة فتيا، وذلك جائز لسعة اللغة». (زاد المسير في علم التفسير ج١/١٦٩).

الفتوى في الاصطلاح: عرفها الفقهاء والأصوليون بتعريفات متعددة، منها ما ذكره ابن حمدان الحراني رحمه الله بقوله: «الإفتاء: الإخبار بحكم الله تعالى عن دليل شرعي». (صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ص٤)، وهذا التعريف دقيق؛ حيث يفيد إظهار الحكم الشرعي المؤيد بالدليل.

ولعله من المناسب هنا أن أعرِّف بالمفتي والمستفتي؛ لعلاقة ذلك بباب الإفتاء، فالمفتي هو: من تعلَّم العلوم الشرعية بأدلتها التفصيلية؛ بحيث يتمكَّن من بيان الأحكام الشرعية. والمُفتُونَ يتفاوتون في درجة التحصيل والنبوغ في العلم، وقد عرَّف الشيخ محمد رشيد رضا المفتي بقوله: «المفتي في الشرع: هو الفقيه المجتهد الذي يرجع إليه الناس في معرفة ما يَخفى عليهم من أحكام الدين». ثم فصَّل ذلك بقوله: «وبيان هذا: أن المفتي عندهم هو المجتهد المستعدّ للإفتاء بالدليل، فإن كان مستعدًا للإفتاء في عامة الأحكام فهو المجتهد المطلق، وان كان لا يقدر على الإفتاء إلا في بعض الأحكام فهو مجتهد فيما هو مُفتٍ به، وهذا التفصيل مبني على قول المحققين من الأصوليين بأن الاجتهاد يتجزأ». (مجلة المنار ج٦/٨٤٨).

وقد عرَّف ابن حمدان المفتي بتعريفات متعددة منها: «أنه المُخبِر بحُكم الله تعالى؛ لمعرفته بدليله، وقيل: هو المتمكِّن من معرفة أحكام الوقائع شرعًا بالدليل مع حفظه لأكثر الفقه». (صفة الفتوى ص٤).

والمستفتي هو: مَن لم يتمكن من معرفة حكم الشرع في مسألة ما، فيسأل المفتي عنها.

ثانيا: أهمية الفتوى وخطر منصب الإفتاء:

تكتسب الفتوى أهميتها في كونها إخبارًا بحُكم الله في المسألة. قال النووي رحمه الله: «اعلم أن الإفتاء عظيم الخطر، كبير الموقع، كثير الفضل؛ لأن المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم». (المجموع ج١/٤٠).

وقد تولاها رب العالمين بنفسه في الإجابة عن بعض ما سُئل فيه نبينا صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ»

(النساء:١٧٦).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: «وهذه الآية نزلت عند سؤال بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الكلالة، فقال تعالى: يسألونك أيها الرسول عن الكلالة، قال للسائلين: الله يفتيكم في الكلالة». (أيسر التفاسير ج١/ ٥٨٤).

ومن هنا أصبح للفتوى مكانة رفيعة، وقد اتفق أهل العلم رحمهم الله على جلالتها وعظيم مكانتها، قال ابن القيم رحمه الله: «وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنكر فضله ولا يُجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيّات، فكيف بمنصب التوقيع عن ربّ الأرض والسمات». (إعلام الموقعين ج١/ ١٠).

تولي رسول الله صلى الله عليه وسلم منصب الإفتاء بنفسه

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تولّى في حياته منصب الإفتاء بنفسه، وهو المبلِّغ في هذه الأمة الأول عن الله تعالى، فكان يُعلِّم القرآن ويُفسِّره لأصحابه ويُربّيهم ويجيبهم عن أسئلتهم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إليه في كل ما يحتاجون إليه من أمور الدين، يقول ابن القيم رحمه الله: «وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، عبدِ الله ورسوله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين، وكان كما قال له أحكم الحاكمين: «قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» (ص: ٨٦)، فكانت فتاويه صلى الله عليه وسلم جوامع الأحكام، ومشتملة على فصل الخطاب، وهي في وجوب اتباعها وتحكيمها والتحاكم إليها ثانية الكتاب، وليس لأحد من المسلمين العدول عنها ما وجد إليها سبيلاً، وقد أمر الله عباده بالردّ إليها؛ حيث يقول: «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا» (النساء: ٥٩). (إعلام الموقعين ج١/ ١١).

> وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبد الله ورسوله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين.

نماذج يسيرة من فتاوى النبي صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم إذا سُئل عن أمر وقد نزل عليه الوحي بشأنه؛ أجاب صلى الله عليه وسلم، وإلا انتظر الوحي، وهذه نماذج يسيرة من فتاويه صلى الله عليه وسلم:

عقد البخاري رحمه الله في جامعه الصحيح بابًا قال فيه: «باب الفتيا على الدابة عند الجمرة»، وساق تحته حديث عبد الله بنْ عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه، فقال رجل: لم أشعر، فحلقت قبل أن أذبح، قال: "اذبح ولا حرج"، وقال الآخر:

لم أشعر، فنحرت قبل أن أرمي. فقال: "ارم ولا حرج". فما سئل يومئذ عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال: "افعل ولا حرج". (البخاري: ١٧٣٦).

وكان صلى الله عليه وسلم يُسأل أحيانًا فيسكت ولا يجيب حتى يأتيه الوحي بشأن ما سُئل عنه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: بَيْنَا أنا أَمْشي مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في بعْضِ حَرْثِ المدينة وهو يتوكَّأ على عسيب معه، فمررْنا على نفرٍ من اليهود، فقال بعْضُهُم لبعْضٍ: سَلُوهُ عن الرُّوح، فقال بعْضُهُم: لا تسألُوهُ أن يجيءَ فيه بشيْءٍ تكرهونه، فقال بعْضُهُم: لنسألنَّهُ، فقام إليه رجُلٌ منهُم فقال: يا أبا القاسم ما الرُّوحُ؟ فسكت عنه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فعلمْتُ أنَّهُ يُوحى إليه فقال: « وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (الإسراء: ٨٥)». (البخاري: ٤٧٢١، ومسلم: ٢٧٩٤).

وقد ذكر ابن حجر فوائد مستفادة من الحديث، وذكر منها: «التوقف عن الجواب بالاجتهاد لمن يتوقع النص». (فتح الباري ج٨/٤٠٤).

وفتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم لها شأن كبير وقدر عظيم، ولم لا؟ فهو إمام المتقين ورسول رب العالمين، وقد ساق الإمام ابن القيم رحمه الله بعضًا من فتاويه، وقال عنها: «فلله ما أجل هذه الفتاوى، وما أحلاها، وما أنفعها، وما أجمعها لكل خير!، فوالله لو أن الناس صرفوا هممهم إليها لأغنتهم عن فتاوى فلان وفلان، والله المستعان». (إعلام الموقعين ج٤/٢٩٢).

وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى قام أصحابه رضوان الله عليهم بتولي منصب الإفتاء من بعده، وهم خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد زكاهم الله تعالى في كتابه وأثنى عليهم نبينا صلى الله عليه وسلم في سنته، ولا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم عايشوا الوحي، وعاصروا التنزيل وتلقوا من النبي صلى الله عليه وسلم، وتعلموا منه، وكانوا في فتاويهم مستندين إلى الوحي الرباني، وإذا وقعت حادثة جديدة ليس فيها نص صريح في القرآن الكريم أو السنة النبوية اجتهدوا في بيان حكمها بما يتفق مع الأصول الكلية والمقاصد الشرعية، وشاور بعضهم بعضًا فيها، كما روى الدارمي، عن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكْر رضيَ الله عنْهُ، إذا وَرَدَ عليه الْخَصْمُ نظر في كتاب الله، فإنْ وجد فيه ما يقْضي بيْنَهُمْ، قضى به، وإنْ لمْ يكنْ في الكتاب، وعلم منْ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمْر سُنَّةً، قضى به، فإنْ أعياهُ، خرج فسأل المُسْلمين وقال: أتاني كذا وكذا، فهلْ علمْتُمْ أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء؟ فرُبَّما اجتمع إليه النَّفرُ كلُّهُمْ يذْكُرُ منْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاءً. فيقُولُ أبُو بكْر: الْحمْدُ لله الَّذي جعل فينا منْ يحْفظُ على نبيِّنا، صلى الله عليه وسلم، فإنْ أعياهُ أنْ يجد فيه سُنَّةً منْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، جمع رُؤُوس النَّاس وخيارهُمْ فاستشارهُمْ، فإذا اجْتمع رأْيُهُمْ على أمْرٍ، قضى به». (سنن الدارمي ج١/٧٠).

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة (٥)

وقوع الطلاق البدعي

«الاستدلال»

إعداد **محمد عبد العزيز**

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فقد سبق عرض مذاهب العلماء في وقوع الطلاقِ البدعي، وذكرنا أنها ثلاثة أقوال إجمالاً:

الأول: أن الطلاق البدعي محرم، وهو واقع، وهو مذهب الجمهور.

الثاني: أن طلاق البدعة محرم، وفيه تفصيل، فبعضه واقع وبعضه غير واقع، وهو مذهب الظاهرية، وقد انتصر له ابن حزم.

الثالث: أن الطلاق البدعي محرم، وهو للزمن وحده غير واقع، وهو مذهب: ابن تيمية، وقد نصره ابن القيم في مصنفاته.

وقد أطال الناس في سوق الأدلة بحيث يصعب على بعض طلاب العلم استيعاب موضع الاستدلال، وما يرد عليه، لذا فسنعرض لأصل الاستدلال أولاً، وهو موضع الشاهد على الوقوع وعدمه من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-، وكل معقول بعد ذلك فإنما مبناه على هذا النص فما وافقه فالاستدلال إنما كان بهذا الأصل، وما خالفه فهو رأي في مقابلة النص، وبالله تعالى التوفيق والسداد.

الرواية الأولى: عن نافع، أن ابن عمر، طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم، «فأمره أن يرجعها، ثم يمهلها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تطهر، ثم يطلقها قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء».

قال: فكان ابن عمر إذا سئل عن الرجل يطلق امرأته وهي حائض، يقول: أما أنت طلقتها واحدة أو اثنتين، إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أمره أن يرجعها، ثم يمهلها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تطهر، ثم يطلقها قبل أن يمسها.

«وأما أنت طلقتها ثلاثا، فقد عصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك، وبانت منك» (أخرجه البخاري: ٥٣٣٢).

ففيه موضعان للاستدلال:

الأول: قوله: فأمره أن يرجعها، والمراجعة لا تكون إلا بعد لزوم الطلاق، قال ابن عبد البر: «والمراجعة لا تكون إلا بعد لزوم الطلاق، ولو لم يكن الطلاق في الحيض واقعًا ولا لازمًا ما قال له راجعها؛ لأن من لم يطلق ولم يقع عليها طلاق لا يقال فيه: راجعها؛ لأنه محال أن يقال لرجل امرأته في عصمته لم يفارقها راجعها، ألا ترى إلى قول الله عز وجل في المطلقات: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ» (البقرة: ٢٢٨)، ولم يقل هذا في الزوجات اللاتي لم يلحقهن الطلاق.

> المراجعة لا تكون
> إلا بعد لزوم الطلاق

وعلى هذا جماعة فقهاء الأمصار وجمهور علماء المسلمين وإن كان الطلاق عند جميعهم في الحيض بدعة غير سنة فهو لازم عند جميعهم ولا مخالف في ذلك إلا أهل البدع» (التمهيد ١٥ /٥٨).

الثاني: أن ابن عمر كان يفتي بوقوع الطلاق الثلاث إن طلق الرجل امرأته وهي حائض، فاستدل به الجمهور على وقوعه إذا طلق واحدة أو اثنتين لعدم الفارق، ومنه يعلم مذهب ابن عمر-رضي الله عنهما-.

قال أبو عمر ابن عبد البر: «ونحو هذا من القول والمعنى والدليل على أنه قد اعتد بها ورآها لازمة له أنه كان يفتي أن من طلق امرأته ثلاثًا في الحيض لم تحل له، ولو جاز أن تكون الطلقة الواحدة في الحيض لا يعتد بها، لكانت الثلاث أيضًا لا يعتد بها، وهذا ما لا إشكال فيه عند كل ذي فهم» (التمهيد ١٥ /٦٢-٦٣).

وقال في الاستذكار: «لو كان الطلاق في الحيض غير جائز لم يلزمه ثلاثًا كانت أو واحدة» (الاستذكار ٦ /١٤٣).

وعندهم أن هذا القول لا مخالف له من الصحابة، وهو قول صاحب القصة، وأعلم الناس بها، فكان إجماعًا، وقد نقل الإجماع غير واحد من المتقدمين والمتأخرين (ينظر مثلاً: رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، للفاكهاني ٤ /٦٨٧، ونخب الأفكار، للعيني ١١ /٣٠).

وقد استدل بهذا الحديث الظاهرية على مذهبهم، وموضع الشاهد فيه في قول ابن عمر:

«أما أنت طلقتها واحدة أو اثنتين، إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أمره أن يرجعها، ثم يمهلها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تطهر، ثم يطلقها قبل أن يمسها».

ففيه: أن النبي-صلى الله عليه وسلم-أمر من طلق طلقة أو طلقتين بالرجعة، فدل ذلك على أن طلاقه لم يصادف محلاً صالحا لإيقاع

الطلاق عليه، فلا يلزمه الطلاق.

وأنه إن طلقها آخر ثلاث طلقات، أو جمعها عليها فقد صادف محلاً صالحا، لقول ابن عمر: «وأما أنت طلقتها ثلاثا، فقد عصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك، وبانت منك».

قال ابن حزم: «قول الله عز وجل: «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» (الطلاق: ١) لا إشكال في أنه تعالى إنما أمر بذلك في المدخول بها فيما كان من الطلاق دون الثلاث.

وفي هذين الوجهين أفتى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ابن عمر، ولم يأمر قط عز وجل بذلك في غير مدخول بها، ولا فيمن طلق ثالثة، أو ثلاثة مجموعة.

وليس في غير المدخول بها عدة طلاق فيلزم أن يطلق لها، كما بينا بنص القرآن وقوله تعالى: «لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا» (الطلاق: ١)، «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» (الطلاق: ٢). وليس هذا في طلاق الثلاث» (المحلى ٩ /٣٨٣).

وكلامه هذا فيه صواب وخطأ:

فأما الصواب ففي قوله: إن غير المدخول بها لا عدة لها لتطلق للعدة، لقوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا» (الأحزاب: ٤٩).

وأما الخطأ: فتفريقه في الطلاق للعدة في قوله تعالى: «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» (الطلاق: ١) بين من طلقت طلقة أو طلقتين، ومن طلقت ثالثة أو ثلاثة مجموعة، مع أن اللفظ عام، ولا مخصص له.

ويلزمه التناقض: لأنه جعل المحل في المدخول بها مرة صالحا لايقاع الطلاق فيه، ومرة غير صالح لايقاع الطلاق عليه مع اتحاد العلة، وانتفاء الفرق، وشمول اللفظ.

> “ احتساب وقوع الطلاق في الحيض ورد مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم. ”

ويلزمه التناقض على أصولهم أيضا؛ فإن مذهب الصاحب عندهم غير حجة، وقد استدل بفتوى ابن عمر-رضي الله عنهما- على هذا التخصيص.

ويلزمه أيضا أن يحمل الرجعة على المعنى اللغوي لها، وقد فعل ذلك قال: «وقال بعضهم: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمراجعتها دليل على أنها طلقة يعتد بها؟ فقلنا: ليس ذلك دليلاً على ما زعمتم، لأن ابن عمر-بلا شك- إذ طلقها حائضا فقد اجتنبها، فإنما أمره- عليه الصلاة والسلام- برفض فراقه لها، وأن يراجعها كما كانت قبل، بلا شك» (المحلى ٩ /٣٨٢).

فغاية ما قال: أن الرجعة قد تحمل على المعنى اللغوي الواسع، وقد تحمل على معنى شرعي، وعلى قول ابن القيم اصطلاحي فحمله هو على المعنى اللغوي عنده هو المتبادر فكان هو الظاهر.

وهذا لا يصح منه لماذا؟

لأن المتبادر للذهن المعنى الذي فهمه ابن عمر-رضي الله عنهما- فهو صاحب القصة وأعلم الناس بها، حين قال: «أما أنت طلقتها واحدة أو اثنتين، إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أمره أن يرجعها».

فأمر من طلق طلقة أو طلقتين بالرجعة؛ لأنه ما زال له على المرأة ملك.

وقال لمن أزال ملكه من على المرأة بطلاق الثلاث: «وأما أنت طلقتها ثلاثا، فقد عصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك، وبانت منك».

وقد تبادر المعنى أيضا لجمهور الأمة سلفا وخلفا، فكان هو المعنى: الظاهر، ولو كان ما فهمه صحيحا لقال له النبي-صلى الله عليه وسلم-طلاقك لم يقع فهي امرأتك، أو نحو

ذلك. وما يلزمه هنا يلزم أيضًا ابن تيمية وابن القيم.

والعجب منه أنه استدل بفتوى ابن عمر- رضي الله عنهما- وفهمه على مذهبه، وترك فهمه لمعنى الرجعة.

وهذا المعنى أيضًا فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .، فعن نافع، عن ابن عمر، أن رجلا أتى عمر، فقال: إني طلقت امرأتي البتة وهي حائض؟

فقال عمر: عصيت ربك، وفارقت امرأتك.

فقال الرجل: فإن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أمر ابن عمر حين فارق امرأته أن يراجعها.

فقال له عمر: إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أمره أن يراجع بطلاق بقي له، وإنه لم يبق لك ما ترجع به امرأتك» (أخرجه الطبراني في الأوسط ٨٠٢٩، والدارقطني ٣٩٠٥، وابن النجاد في مسند عمر ١٣) وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث بهذا اللفظ، عن عبيد الله بن عمر إلا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي تفرد به: الترجماني.

وقال الدارقطني: قال لنا أبو القاسم: روى هذا الحديث غير واحد لم يذكر فيه كلام عمر ولا أعلمه روى هذا الكلام غير سعيد بن عبد الرحمن الجمحي).

وفي رواية عند الدارقطني: وقال ابن صاعد: «فإن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال لعبد الله بن عمر حين فارق امرأته وهي حائض فأمره أن يرتجعها».

وقالا جميعًا: فقال له عمر: إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أمره أن يراجع امرأته بطلاق بقي له».

وقال ابن صاعد: «أن يرتجعها في طلاق بقي له، وأنت لم تبق ما ترتجع امرأتك».

وقال ابن منيع: وإنه لم يبق لك ما ترتجع به امرأتك.

الرواية الثانية: من طريق ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر-رضي الله عنهما-:

«أنه طلق امرأته وهي حائض فأتى عمر النبي-صلى الله عليه وسلم-فذكر ذلك له فجعلها واحدة» (أخرجه أبو داود الطيالسي (٦٨)، والدارقطني (٣٩١٢)، و قد عزاه الحافظ في الفتح (٩ /٣٥٣) لابن وهب في جامعه). وهو إسناد صحيح على شرط الشيخين.

قال الحافظ: «وهذا نص في موضع الخلاف فيجب المصيرُ إليه، أي في احتساب وقوع الطلقة في الحيض» (فتح الباري (٩ /٣٥٣).

وعن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «هي واحدة» (أخرجه الدارقطني (٣٩١٥)، وإسناده صحيح لولا أن ابن جريج مدلس وقد عنعنه، لكن قد تابعه).

وتابعه أيضًا الشعبي، قال: طلق ابن عمر امرأته واحدة وهي حائض فانطلق عمر إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فأخبره، فأمره «أن يراجعها ثم يستقبل الطلاق في عدتها وتحتسب بهذه التطليقة التي طلق أول مرة» (أخرجه الدارقطني (٣٩١٨)، وإسناده صحيح).

لكن قال ابن حزم: «وأما خبر نافع فموقوف عليه ليس فيه: أنه سمعه من ابن عمر فبطل الاحتجاج به» (المحلى ٩ / ٣٨٠).

قلت: الوارد عن نافع نصان:

الأول منهما مرفوع لا موقوف عليه، وقد سبق قريبًا.

والثاني موقوف عليه، وهو في صحيح مسلم من طريق ابن نمير عن عبيد الله: قال: «قلت لنافع: ما صنعت التطليقة؟ قال: واحدة اعتد بها». (أخرجه مسلم ١٤٧١)، فهذا إخبار منه، لا فتوى، ولا تعارض بينهما.

ونقل عنه الحافظ نحوًا من هذا وأجاب عنه، قال: «وهذا نص في موضع الخلاف فيجب المصير إليه، وقد أورده بعض العلماء على ابن حزم فأجابه بأن قوله: «هي واحدة» لعله ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فألزمه بأنه نقض أصله؛ لأن الأصل لا يدفع بالاحتمال» (فتح الباري (٩ /٣٥٣).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة (١٠)

قال الله تعالى: « لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا
(٢٧) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُّحَمَّدٌ
رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ »

(الفتح: ٢٧-٢٩).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلَمَّا دخلها ومضى الأجل أتَوا عليًّا فقالوا: قل لصاحبك اخرُجْ عنَّا فقد مضى الأجل، فخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة رضي الله عنه تنادي: يا عمّ يا عمّ! فتناولها عليٌّ رضي الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك فحملتها. فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرٌ رضي الله عنهم. فقال عليٌّ رضي الله عنه: أنا أخذتها وهي ابنة عمي. وقال جعفرٌ رضي الله عنه: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيدٌ رضي الله عنه: ابنة أخي، فقضى بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال: «الخالة بمنزلة الأم». وقال لعليٍّ رضي الله عنه: «أنت مني وأنا منك». وقال لجعفر رضي الله عنه «أشبهتَ خَلقي وخُلقي». وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله عنه: «أنت أخونا ومولانا». قال عليٌّ رضي الله عنه: ألا تتزوج ابنة حمزة رضي الله عنه؟ قال صلى الله عليه وسلم: «إنها ابنة أخي من الرَّضاعة».

وقوله تعالى: «فعلم ما لم تعلموا» أي فعلم الله من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموه أنتم. «فجعل من دون ذلك» أي قبل دخولكم الذي وُعدتم به في رؤيا النبيّ صلى الله عليه وسلم «فتحا قريبا» وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين.

ثم قال تبارك وتعالى مبشرًا للمؤمنين بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم على عدوه، وعلى سائر أهل

الأرض»: «وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق» أي بالعلم النافع والعمل الصالح. فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل. فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول. فإخباراتها حق، وإنشاءاتها عدل. «ليظهره على الدين كله» أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم، وملِّيين ومشركين. «وكفى بالله شهيدا» أي أنه رسوله وهو ناصره. والله سبحانه وتعالى أعلم. (تفسير القرآن العظيم: ٤/٢٠١-٢٠٣)

بل إنكار رسالته صلى الله عليه وسلم طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته له إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بل جحد للرب بالكلية وإنكار.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمد عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتري على الله ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثا وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر. وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله وأبطل شرائع أنبيائه وبدلها وقتل أولياءه، واستمرت نصرته عليهم دائما، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين.

فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم ولا مدبر، ولو كان له مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالا للصالحين. إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟.

ولا ريب أن الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته والشهادة له بالنبوة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد. وله الفضل والمنة. (شرح الطحاوية بتحقيق الألباني: ص١٦٥، ١٦٦).

فضائل الصحابة:

قال تعالى: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا» (الفتح: ٢٩).

في إعراب قول الله سبحانه: «محمد رسول الله» وجوه:

أحدها: أن «محمدا»: مبتدأ، خبره: «رسول الله». وثانيها: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو محمد الذي سبق ذكره بقوله «أرسل رسوله». «رسول الله» عطف بيان (التفسير الكبير: ٢٨/١٠٧). وهذا المعنى هو الأظهر هنا، إذ ليس المقصود إفادة أن محمدا رسول الله، وإنما المقصود بيان رسول الله من هو؟ بعد أن أجرى عليه من الأخبار من قوله: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا» (الفتح: ٢٧) فيعتبر السامع كالمشتاق إلى بيان من هذا المتحدث عنه بهذه الأخبار؟ فيقال له: «محمد رسول الله». أي هو محمد رسول الله، وهذا من العناية والاهتمام بذكر مناقبه صلى الله عليه وسلم، فتعتبر الجملة المحذوف مبتدؤها مستأنفة استئنافا بيانيا.

وفي هذا نداء على إبطال جحود المشركين رسالته حين امتنعوا من أن يكتب في صحيفة الصلح: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله». وقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت». (التحرير والتنوير ٢٦/٢٠٣).

وقوله تعالى: «والذين معه» أي: أصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه. «أشداء

على الكفار، الذين خالفوه وآذوه وحاربوه: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ» (الصف: ٨). فهؤلاء الذين أمر الله المؤمنين بقتالهم والغلظة عليهم، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (التوبة: ٧٣)، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (التوبة: ١٢٣)، وقال تعالى: «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ» (محمد: ٤)، وقال تعالى: «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (الأنفال: ١٢)، ثم بين سبحانه العلة في هذه الغلظة والقسوة فقال: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (الأنفال: ١٣). فلو أنهم كفوا أيديهم، ولم يصدوا عن سبيل الله، ولم يحاربوا المؤمنين لكان لهم نصيب من الرحمة واللطف، والرفق واللين، كما قال تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (الممتحنة: ٨).

فالإسلام لا يأمر بالغلظة والقسوة على الكافر لمجرد كفره، وإنما لصده عن سبيل الله من أراد الايمان بالله، ومنعه الدعوة والدعاة من الوصول إلى الناس بالرحمة المهداة.

والمؤمنون حين يقسون على الكفار لا يفرقون بين قريب وبعيد، ولا بين والد وولد، كما قال تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» (المجادلة: ٢٢)، وقد نزلت هذه الآية في الصحابة رضي الله عنهم حين لقوا الكفار يوم بدر فقتلوا أقاربهم وأهليهم، ذلك أن من أصول الدين وقواعده الحب في الله والبغض في الله، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله». (صحيح الجامع:٢٥٣٦)

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الايمان». (صحيح أبي داود: ٣٩١٥).

ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم «أشداء على الكفار» وفيهم الآباء والأبناء، والإخوة والأعمام، «رحماء بينهم» على غير أنساب ولا أرحام، والمعنى: أنهم متحابون متراحمون متعاطفون، يرحم بعضهم بعضا، ويعطف بعضهم على بعض، ويود بعضهم بعضا، ويحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، ويكره له ما يكره لنفسه من الشر، فهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» (صحيح البخاري ٦٠١١). وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا». (صحيح البخاري ٤٨١).

وقد وصفهم الله بنحو هذين الوصفين في قوله: «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ» (المائدة: ٥٤). والأذلة جمع الذليل، والصفة: الذل، كما قال تعالى: «وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» (الإسراء: ٢٤). والمراد به هنا لين الجانب والتواضع، وتوطئة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع.

والأعزة جمع العزيز فهو المتصف بالعز، وهو القوة والاستقلال. (التحرير والتنوير: ٦/ ٢٣٧).

فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم، وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم، وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله، أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم. (تيسير الكريم الرحمن: ٢/ ٣٠٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يعتبر الاقتصاد الإسلامي من أهم قضايا هذا العصر، ويتناول هذا المقال مفهوم الاقتصاد الإسلامي، وخصائصه وأسسه وعناصره وبنياته الأساسية.

أسس الاقتصاد الإسلامي:

يقصد بالأسس أنها مجموعة المفاهيم والمبادئ المستنبطة من القواعد الفقهية الكلية ذات العلاقة بالمعاملات الاقتصادية، وتتسم هذه الأسس بالثبات، والصلاحية للتطبيق في كل زمان ومكان، وتعتبر المرجعية الإسلامية للنظام الاقتصادي الإسلامي.

أسس الاقتصاد الإسلامي

إعداد أ.د. حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

ومن أهم هذه الأسس ما يلي:

١- عدم الفصل بين العبادات والمعاملات في ممارسة النشاط الاقتصادي، وتعتبر المعاملات عبادة متى كانت تتم وفقا لشرع الله، والحافز والباعث على ذلك مرضاة الله عز وجل، وتحقيق البركة في الأرزاق، ومن أهم هذه القيم التعبدية ذات الأثر الاقتصادي: التقوى والخشية من الله في كل المعاملات، والإخلاص في العمل والتعامل، والإيمان بأن الرزق من عند الله سبحانه وتعالى وعلى الإنسان أن يأخذ بالأسباب الذاتية التي تضبط السلوك، والإيمان

بالمحاسبة الأخروية أمام الله.

٢- الالتزام بتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية عند ممارسة المعاملات الاقتصادية، وهى: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وتحريم أي معاملة تؤدى إلى الإضرار بهذه المقاصد.

٣- إحياء فريضة الزكاة، والتي هي الركن الثالث من الإسلام وركن من أركان النظام الاقتصادي الإسلامي، ويقوم عليها النظام المالي الإسلامي، وهي من أهم أدوات تنمية المال وإعمار الأرض وتحقيق العدالة الاجتماعية.

٤- وجوب حماية المال وتنميته وفق الضوابط والصيغ المشروعة، ولا يجوز الاعتداء على أموال الناس ولا تؤخذ منهم إلا بالحق في ضوء الضوابط الشرعية وأساس ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» (رواه مسلم).

٥- إن الله قد خلق من الأرزاق ما يكفل حياة كريمة للمخلوقات وعلى الإنسان أن يسعى في الحصول على الرزق الطيب، طبقا للأولويات الإسلامية، وهي: الضروريات فالحاجيات، ووجوب الادخار والاستثمار لوقت الحاجة.

٦- إن العمل الصالح المتقن وسيلة الكسب المادي وغايته التقوية على عبادة الله فالمادة وسيلة لبناء الجسد والعبادة لتغذية الروح، ويلزم على الفرد أن يوازن بينهما بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

٧- إن المعاملات الاقتصادية هي علاقات تعاقدية تخضع لشروط العقد وأحكامه بصفة عامة والبيوع بصفة خاصة، ومن ثم يجب توثيقها بالكتابة والتسجيل أو غيرهما ولقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ) (البقرة: ٢٨٢).

٨- حماية الملكية الخاصة المكتسبة بالحق والمقيدة بعدم الاعتداء على حقوق الآخرين وأدائها لحقوق المجتمع والغير بالقسط وهي أساس التملك، ويجوز أن يكون بجانبها الملكية العامة والملكية التعاونية ليقوما بدورهما في التنمية الشاملة في المجالات التي يحجم عنها الأفراد.

٩- عدم الفصل بين الأخلاق والمعاملات الاقتصادية ومن القيم الأخلاقية في مجال المعاملات الاقتصادية هي العدل والصدق والأمانة والعفة والقناعة والوفاء.

وتمثل الأسس السابقة الثوابت المستقرة، وعلى الفقهاء الاجتهاد في مجال الفروع والأساليب وإجراءات التطبيق بما يلائم ظروف كل زمان ومكان، وهذا ما يعطى الاقتصاد الإسلامي سمة الثبات والمرونة والصلاحية للتطبيق في كل زمان ومكان.

عناصر النظام الاقتصادي الإسلامي:

يرتبط الاقتصاد الإسلامي بالإنسان والتي جاءت الشريعة الإسلامية لتحفظ له حقوقه المشروعة وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال. ويجب على الإنسان أن يضرب في الأرض مستغلا ما سخره الله عز وجل من موارد ليحصل على ما قدره الله له من رزق ليحيى حياة طيبة كما يجب عليه القوامة والوسطية في الإنفاق، واستثمار ما يفيض منه للمستقبل وهذا ما يطلق عليه: الاستثمار للأجيال القادمة.

ولقد استنبط فقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي من هذا الحديث هيكل عناصر النظام الاقتصادي الإسلامي على النحو التالي:

• عنصر العمل والإنتاج للحصول على الكسب الحلال الطيب (الإنتاج).

• عنصر الاستهلاك

والإنفاق على شئون الحياة (الاستهلاك).

- عنصر الادخار والاستثمار لنوائب الدهر وللمستقبل (الاستثمار).
- عنصر ملكية عوامل الإنتاج (الملكية).

بنيات الاقتصاد الإسلامي:

يتكون هيكل النظام الاقتصادي الإسلامي من مجموعة من المؤسسات الاقتصادية والمالية والمدنية والحكومية والتعاونية ويحكمها مجموعة من الأسس والقواعد وتعمل طبقا لسلسلة من الإجراءات، من أهمها ما يلي:

١- المؤسسات الاقتصادية: وتتمثل في الوحدات الإنتاجية والخدمية سواء أكانت في شكل وحدات فردية أم شركات أو تعاونيات، وسواء أكانت قطاع خاص أم عام، ويجب تشجيع القطاع الخاص وتحفيز الأفراد على العمل والإنتاج والتملك في ضوء ضوابط حماية حقوق الآخرين وحقوق المجتمع.

٢- المؤسسات المالية: وتتمثل في المصارف ومؤسسات التأمين وشركات الاستثمار وتوظيف الأموال، ونرى ضرورة أن تتعامل هذه المؤسسات على أساس ونظام وصيغ الاستثمار والتمويل الإسلامي وليس على أساس الربا وأن تجعل تعاملها في الطيبات وتجنب الخبائث وطبقا للأولويات الإسلامية.

٣- مؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقة بالنشاط الاقتصادي: مثل الجمعيات التعاونية الاقتصادية والجمعيات الاجتماعية التي لها بعض الأنشطة الاقتصادية، والمؤسسات الخيرية مثل الوقف والصدقات وما في حكم ذلك، ويجب أن تنضبط معاملات هذه المؤسسات بضوابط ومعايير الاقتصاد الإسلامي.

٤- الأسواق: ويقصد بالسوق بأنه الوسيلة التي يتم بها تبادل وتداول السلع والخدمات بين البائعين والمشترين وتحكمه ظروف العرض والطلب، ويجب أن يتوافر في هذه السوق مجموعة من الشروط، ويحكمه مجموعة من الضوابط الشرعية التي تحميه من الغش والغرر والجهالة والتدليس والاحتكار والربا وكافة صور أكل أموال الناس بالباطل.

٥- السلطات الاقتصادية: وتتمثل في الوحدات الاقتصادية الحكومية التي تحفظ وتراقب شئون المجتمع الاقتصادية مثل: أجهزة التوجيه الاقتصادي وأجهزة الرقابة على المال والنقد والأسواق وبيت المال والمصرف المركزي والغرف التجارية وغير ذلك، ويجب أن تلتزم هذه السلطات الاقتصادية فيما تصدره من قوانين وسياسات بالشريعة الإسلامية.

٦- السلطات التشريعية: وتتمثل في المجالس النيابية التشريعية التي تتولى وضع القوانين والتشريعات التي تحكم النشاط الاقتصادي وتنظم الملكية والحقوق في الأموال، وتتولى الحكم في المنازعات التجارية، ويجب ضرورة تنقية القوانين التجارية المالية وما في حكمها مما يتعارض مع قواعد وأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

٧- المؤسسات التعليمية الاقتصادية: وتتمثل في المدارس والمعاهد والكليات التجارية والتي تهتم بتخريج العنصر البشري الذي يعمل في البنيات السابقة ويجب إعادة النظر فيما يدرس في هذه المؤسسات التعليمية وتنقيتها من الموضوعات التي تتعارض مع المفاهيم والأسس الإسلامية والاهتمام بموضوعات المال والتجارة والاقتصاد الإسلامي.

وللحديث بقية إن شاء الله.

تهنئة واجبة

تم بفضل الله ومنّه وفضله مناقشة رسالة (العالمية) الدكتوراه في الفقه المقارن، وكان موضوعها: «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ميزان الفقه الإسلامي» (دراسة مقارنة).

والمقدمة من الباحث أحمد فريد إبراهيم العراقي، المدرس المساعد بقسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف، جامعة الأزهر الشريف.

وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من كل من الأساتذة:

١- معالي الأستاذ الدكتور سيف رجب قزامل، أستاذ الفقه المقارن والعميد الأسبق بكلية الشريعة والقانون بطنطا ، مناقشا.

٢- معالي الأستاذ الدكتور السيد حافظ خليل السخاوي، العميد الأسبق بكلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف ، مشرفًا.

٣- معالي الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمد منصور علي، عميد كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف ، مناقشًا.

٤- معالي فضيلة الأستاذ الدكتور كيلاني محمد المهدي، أستاذ الفقه المقارن، رحمه الله تعالى مشرفًا.

وقد حصل الباحث على الدكتوراه بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف.

نتمنى من الله العلي القدير دوام التوفيق والنجاح والازدهار، وأن ينفع الله بعلمه المسلمين، وتهانينا القلبية لشخصه الكريم.

أخوكم **جمال سعد حاتم**

رئيس تحرير مجلة التوحيد

عزاء واجب

بقلوب صابرة على قضاء الله تعالى، وأنفس محتسبة تعلو على المصائب وتسمو عن الأحزان؛ تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء لفضيلة الأستاذ الدكتور ياسر لمعي، الكاتب بالمجلة، في وفاة ابنته، نسأل الله تبارك وتعالى أن يسكنها فسيح جناته، ويلهم أهلها وذويها الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس التحرير

إذا ضُيِّعتِ الأمانةُ فانتظِرِ الساعة

بقلم
د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

روى شيخ المحدثين الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: بيْنَما النبيُّ صلى الله عليه وسلم في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جاءَهُ أعْرابِيٌّ فَقالَ: مَتى السَّاعَةُ؟

فَمَضى رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُ، فَقالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ ما قالَ فَكَرِهَ ما قالَ.

وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حتَّى إذا قَضى حَدِيثَهُ.

قالَ: أيْنَ -أُراهُ- السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟

قالَ: ها أنا يا رَسولَ اللَّه.

قالَ: فإذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ.

قالَ: كيفَ إضاعَتُها؟

قالَ: إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهْلِه فانْتَظِرِ السَّاعَةَ.

التخريج

رواه البخاري في موضعين من صحيحه:

١- في كتاب العلم باب: من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، رقم (٥٩)، وهو السياق السالف، وهو الأتم إذ ذُكِرَ فيه قصة الأعرابي.

٢- وفي كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم: (٦١٣١).

المعنى العام للحديث:

هذا الحديث الشريف الحديث يتضمَّن قصةَ أعرابيٍّ دخل مجلس رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فوجده مشتغلًا بحديث ما، فسَألَه سؤالًا خارجَ سياقِ ذلك الموضوع، فواصَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حديثَه، ولم يلتفت إلى الأعرابيِّ، هنا تساءَل بعضُ الصحابة عن سبب إعراضِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن سؤاله،

فقال بعضهم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال البعض الآخر: بل لم يسمع، والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم سمع سؤال السائل؛ لكنه أخَّر الإجابة إلى أنْ يُنْهي الموضوع الذي كان بصدده، والدليل على ذلك أنه أجابه لمَّا فَرَغَ من حديثه، حيث توجه صلى الله عليه وسلم للسائل مجيبًا: إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة. فسأله السائل عن كيفية إضاعتها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إذا وُسِّد (أي: عُهِدَ) بالأمر إلى غير أهله؛ فكُلِّف به مَن ليس أهلاً له فلا يؤدي أمانة التكليف.

شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم:

(إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة): بضم الضاد المعجمة، وكسر التحتية المشددة، وهو جواب عن سؤال الأعرابي حيث قال: متى الساعة؟ كما في الحديث المذكور.

قال الأعرابي: كيف إضاعتها يا رسول الله؟

قال عليه الصلاة والسلام: (إذا وُسِّد: أي فُوِّض (الأمر) المتعلق بالدين كالخلافة، والإمارة، والقضاء، وغيرها (إلى غير أهله)؛ قال الحافظ في الفتح: قال الكرماني أجاب عن كيفية الإضاعة بما يدل على الزمان؛ لأنه يتضمن الجواب لأنه يلزم منه بيان أن كيفيتها هي الإسناد المذكور.. والمراد من «الأمر» جنس الأمور التي تتعلق بالدين: كالخلافة، والإمارة، والقضاء، والإفتاء، وغير ذلك، وقوله «إلى غير أهله» قال الكرماني: أتى بكلمة «إلى» بدل اللام ليدل على تضمين معنى الإسناد.

وقوله (فانتظر الساعة)؛ الفاء للتفريع أو جواب شرط محذوف، أي إذا كان الأمر كذلك فانتظر الساعة. (ينظر فتح الباري ٣٤١/١١، وإرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني ص١٥/٤٩٤).

مما يستفاد من الحديث:

١- عموم لفظ الأمانة: والأمانة: ضدُّ الخيانة:

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): «أي جنس الأمور التي تتعلَّقُ بالدِّين.. قال الكُفوي: «الأمانة: كلُّ ما افترض الله على العِباد فهو أمانةٌ، كالصلاة والزكاة، والصيام وأداء الدَّيْن، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كَتْمُ الأسرار» [ينظر: الكليات للكفوي (١٧٦) بتصرف .

«وقال بعضُ أهل العلم: الأمانةُ في الحديث هي المذكورة في قول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)(الأحزاب:٧٢-٧٣)، قال القرطبي رحمه الله في تفسيره لسورة الأحزاب: «والأمانة تعمُّ جميعَ وظائف الدِّين على الصحيح مِنَ الأقوال، وهو قول الجمهور»، وقال الشيخ عبدالرحمن بن حبنكة الميداني: «الأمانةُ أحدُ الفروع الخُلُقية لحبِّ الحق وإيثاره، وهي ضدُّ الخيانة».

> قال القرطبي: الأمانة تعمُّ جميع وظائف الدِّين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور.
> وقيل: الأمانة أحدُ الفروع الخُلُقية لحبِّ الحق وإيثاره، وهي ضدُّ الخيانة.

هذا، ولا تقتصر الأمانةُ على العِفَّة عن الأموال، بل العفَّة عن كل ما ليس للإنسان به حقٌّ هي أيضًا داخلةٌ في حدود الأمانة، أو أثر من آثارها، ومن الأمانة إعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، فالعدل من الأمانة، والجور والظُّلم من الخيانة، ومن الأمانة الاهتمام بأنْ يحفظ المستأمنون ما تحت أيديهم من حقوقِ لغيرهم، حتى يؤدُّوها إلى أصحابها، وهي على حالتها

حينما استؤمنوا عليها، ما لم يكن مرورُ الزمن يُغيِّر منها بصفة طبيعيَّة.

ومن مجالات الأمانة المتعدِّدة أيضًا: الأمانةُ في العقيدة، والأمانة في العبادة، والأمانة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمانة في توفية الكَيْل والميزان، والأمانة في البيْع والشِّراء، والأمانة في تأدية الدَّين. [ولمزيد الفائدة في بيانها ينظر كتاب الأخلاق الإسلامية وأسسها (١/٦٤٦ -٦٤٧) بتصرف .

٢- وجوب تعلم الأدب قبل العلم: يجب أن يتقدم أدب طلب العلم على العلم نفسه إذ علم بلا أدب جور على العلم

٣- أهمية الرفق والصفح في الدعوة إلى الله تعالى: وهو ما ظهر منه صلى الله عليه وسلم حينما علَّمه ولم ينهره بعدما أعرض عنه قليلاً ليؤدبه.

وسنة النبي صلى الله عليه وسلم تفوح بمثل هذا كثير؛ كحديث الأعرابي الذي بال في المسجد، وترفق النبي به مُعلِّمًا حتى ورد في دعاء الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف، قال: «اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا».

وكذلك حديث معاوية بن الحكم السلمي رضى الله عنه عندما شمَّت رجلاً في الصلاة؛ فقال معاوية مُعلِّقًا على تعليم النبي صلى الله عليه وسلم له: «ما رأيت معلمًا أفضل منه».

والحديث المشهور قال صلى الله عليه وسلم: «ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه، وما نُزِعَ من شيء إلا شانه»؛ قال نحو هذا الكلام لعائشة رضي الله عنها لما كانت تسرع بالجمل، قال: (يا عائشة ! عليك بالرفق) حتى مع الدواب.

> من الحكمة في الجواب على السائل أن يكون مما يفيده ولا يفرع عليه الأمور، مما لا فائدة منه .

٤- كراهة قطع حديث المعلِّم حتى ينتهي:

المعلم أثناء شرحه لا شك أنه يرتب حديثه بمنهجية وأولويات في الشرح والطرح، وقطع كلام المعلِّم قد يفوت بعض هذه المقاصد على المعلم، فضلاً عن تشويشه على المتعلمين.

٥- كراهة سؤال المعلم عن شيء خارج عن الدرس:

وهو الأولى حتى لا ينفرط الأمر، ويحدث التشتيت؛ وإلا فالحكمة ضالة المؤمن، ولا بأس من السؤال؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم أجابه.

٦- الإعراض عن السائل تعليمًا له وتأديبًا إذ احتيج إلى ذلك، وهو نوع من أنواع التأديب المهذَّب اللائق كما فعله صاحب الخُلق العظيم.

٧- فقه الأولويات في تقديم الأولى في الحديث، وهو كما فعله رسول الله إذ أتم حديثه أولاً.

٨- من الحكمة في الجواب على السائل أن يكون مما يفيده ولا يفرع عليه الأمور، مما لا فائدة منه؛ فالسائل لما سأل عن الساعة أجابه النبي صلى الله عليه وسلم مما يترتب عليه عمل، والعمل الذي دعا هنا النبي إليه التمسك بأداء الأمانات؛ إذ حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الصفة المضادة، وهي التفريط في الأمانة.

٩- للمتعلِّم الحقُّ في الاستفسار عن شيء لم يفهمه من جواب المعلم.

١٠- وجوب محافظة العالم على هيبته ليصل علمه للناس؛ فقد وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه ثم علمه أعرض في وقار، ثم علمه في رحمة؛

وهو خلق الإسلام الوسط .

١١- إن الحديث من دلائل الإيمان؛ وبيانه أن النبي صلى الله عليه وسلم تنبأ بزمن الرويبضة، وهم من يتوسدون الأمور بغير تأهيل كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا وُسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)، وما ذلك الآن ببعيد من الناس، وهو كما قال في الحديث الآخر المرادف والمفسر لبعض معناه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيأتي على النَّاس سنواتٌ خدَاعاتٌ؛ يصدَقُ فيها الكاذبُ، ويُكذَبُ فيها الصَادقُ، ويُؤتَمنُ فيها الخائنُ، ويُخوَنُ فيها الأمينُ، وينطقُ فيها الرُوَيبضةُ.

قيلَ: وما الرُوَيبضةُ؟

قالَ: الرَجلُ التَافهُ في أمرِ العامَةِ) (صحيح الجامع ٣٦٥٠).

فكلها التي نراها عيانًا من دلائل صدقه صلى الله عليه وسلم مع ما يحياه العبد من حسرة يتمنى القلب فيها أن لو كان نسيًا منسيًا.

فهذا رويبضة يكتب عنوانًا: فرعون كان مؤمنًا.

وآخر ينشر قصة عنوانها: إبليس كان شهيدًا؛ أي: ضحية.

وثالث ينشر رزيلة بعد نشر أخيه كلام الكفر، وربما لا يدري ما ينشره، وليس عجيبًا أن يجد هؤلاء مَن يسمع لهم ويجد الصادقون من يكذبهم، وقد أخبر به الصادق المصدوق وما تصدر كل هؤلاء إلا من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله»، وإنَ قضاء بضعة ساعاتٍ وربما دقائق أمام شاشات الفضائيَات تكون كافية لإدراك معنى الرَويبضة حين تراه أمامك يتحدَث في أمر العامَة بكلِ ثقةٍ وجرأة، وهو في معيار الأخلاق والدَين حقيقة لا يساوي شيئًا ولا يزن في ميزان التَقوى نقيرًا.

ولو تحدَثنا عن الزمن الذي يظهر فيه الرَويبضة، ويكثر فهو بلا شكَ زماننا هذا؛ لأنَ الرَويبضات قد كثروا فيه بشكل عجيب، واحتلوا أماكنهم في الفضائيَات والمنتديات؛ ليقتحموا بيوت النَاس بلا استئذان، وليضطر المرء إلى سماع ترَهاتهم وأكاذيبهم في أحيان كثيرة رغم أنفه.

هذه هي السنوات الخداعات التي إذا قال الصادق كلمته لا يصدقه أحد، بل ويصدَق الكاذب بدلًا منه، وتزيَف الأدلة للكاذب ليبدو وكأنه صادق، ونحن نشهد في الإعلام من الكذب المغلَف بغلاف الصدق، نشهد منه الكثير الكثير ويقع فيه فخاخ الكذابين الكثير من الناس التي لا تحكم عقلها، ولا تراجع ما تسمعه أو تراه، وتصدق كل شيء بسذاجةٍ نهى عنها الإسلام في الأصل.

> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيأتي على النَاس سنواتٌ خدَاعاتٌ: يصدَقُ فيها الكاذبُ، ويكذَبُ فيها الصَادقُ، ويؤتمنُ فيها الخائنُ، ويخوَنُ فيها الأمينُ، وينطقُ فيها الرُوَيبضةُ.
> قيل: وما الرُوَيبضةُ؟
> قال: الرَجلُ التافهُ في أمرِ العامَةِ)
> (صحيح الجامع ٣٦٥٠).

وفي هذه السنوات أيضًا تتضارب الأحوال بين الخائن والأمين، فالذي يحمي حمى الدار والأرض والعرض توجَه له الشبهات بطريقةٍ أو بأخرى؛ بينما الذي ينتهك العرض والأرض والدم يكون هو الشريف وهو الأمين بطريقةٍ لا يعلمها المستغفلون؟!

ينطق الرويبضة، إنسان تافه لا قيمة له سوء بعض كلماتٍ يحفظها، يستند إلى ركنٍ باطلٍ إذا تحدَث، ويصدقه الناس، فهذا الزمن هو زمن الرويبضة التافهين الذي يوقعون الناس في شباك الشيطان التي ينسجونها عوضًا عنه. نسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٨٨)

القسم الثاني

إعداد/ **علي حشيش**

٨٠٩- «إن الله يحبَ الشابَ التائب».

الحديث لا يصح: قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٥/٤): «رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة»، وأبو الشيخ في كتاب «الثواب» من حديث أنس بسند ضعيف».

قلت: ولمعرفة درجة هذا الضعف؛ لا بد من الوقوف على علة هذا الحديث وهذا لا يتأتى إلا بالتخريج والتحقيق: فالحديث أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا في كتاب «التوبة» ح(١٨٠) قال: حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عاتكة عن أنس بن مالك مرفوعاً.

وعلة هذا الحديث أبو عاتكة: قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٨٠٥٢/٣٢٨/٢١) أبو عاتكة، اسمه: طريف بن سلمان روى عن: أنس بن مالك، وروى عنه: غسان بن عبيد الموصلي وآخرون.

قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٥٧/٢/٢): «طريف بن سلمان أبو عاتكة منكر الحديث» اهـ.

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند البخاري، قال الشيخ أحمد شاكر في «الباعث الحثيث» ص (٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): «نقل ابن القطان: أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث لا تحل الرواية عنه» اهـ.

لذلك قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٩٤/١/٢): «سألت أبي عن أبي عاتكة فقال: ذاهب الحديث»، وكذلك قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين»: (٣٧٨/١): «أبو عاتكة منكر الحديث جداً يروي عن أنس ما لا يشبه حديثه، وربما روى عنه ما ليس من حديثه، لذلك قال الإمام النسائي في (الضعفاء والمتروكين) (٣١٩): ليس بثقة» اهـ. وبهذا يصبح الحديث منكرا جداً.

فائدة: يغني عن هذا الحديث المنكر، ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(١٤٢١) والإمام مسلم في «صحيحه» ح (١٠٣١) من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: منهم: شاب نشأ في عبادة الله» اهـ.

٨١٠- «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا».

الحديث لا يصح: الحديث أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٣/٤) مرفوعاً بصيغة

الجزم وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده مرفوعًا». اهـ.

٨١١- «اطلبوا العلم ولو بالصين».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١١٨/٤) (٩٦٣/١٠) والحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٦٤/٩)، والحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ح (٢٠، ٢٢)، والحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٧٧٧/٢٣٠/٢)، والحافظ ابن الجوزي (٢١٥/١) من طريق الحسن بن عطية، حدثنا طريف بن سلمان، أبو عاتكة قال: سمعت أنس بن مالك مرفوعًا، وعلة هذا الحديث أبو عاتكة طريف بن سلمان، وهو ذاهب الحديث، منكر الحديث جدًا ليس بثقة كما بينا آنفًا، ولذلك قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠٣٣٩/٥٤٢/٤): وأبو عاتكة عن أنس بن مالك مجمع على ضعفه، حدث عنه الحسن بن عطية، وغسان بن عبيد وجماعة قال البخاري: منكر الحديث، وذكره السليماني فيمن عُرف بوضع الحديث. اهـ.

قلت: ويؤيد ما قاله السليماني، قول البخاري: منكر الحديث بما بيناه من معناه آنفًا، وكذلك قول النسائي ليس بثقة لذلك قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢١٦/١): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقل أن الحافظ ابن حبان قال: وهذا الحديث باطل لا أصل له». اهـ.

وقال الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٣٠/٢): «لا يحفظ: ولو بالصين» إلا عن أبي عاتكة، وهو متروك الحديث.

فائدة: وحتى لا يتقول علينا من لا دراية له بالصناعة الحديثية فيظن أن حديث أنس في متن «ولو بالصين» له متابعة أخرجها ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ح(٢٩). قلت: هذه متابعة تزيد الحديث وهنًا على وهن: لأنها من رواية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم العسقلاني قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٨٠٤/٤٤٩/٤): «كذاب». اهـ. وأقر هذا الحافظ السخاوي في «المقاصد» ح (١٢٥).

فائدة: وأورد الإمام السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١٩٣/١) شاهدًا لحديث أنس نقله من «الميزان» من رواية أحمد بن عبد الله الجويباري بسنده عن أبي هريرة مرفوعًا، ونقل الذهبي في «الميزان» (٤٢١/١٠٦/١): «أن النسائي قال (الجويباري كذاب)، وأن ابن حبان قال: (دجال من الدجاجلة)، وأن الدارقطني قال: (كذاب) وأن ابن عدي قال: كان يضع الحديث، ثم قال الذهبي: «الجويباري ممن يضرب المثل بكذبه». اهـ.

٨١٢- «من امتشط قائمًا ركبه الدَّيْن».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٧٨/١) من حديث عائشة مرفوعًا، وعلته الجويباري الكذاب الوضاع الدجال كما بينا آنفًا عن شيخه أبي البختري وهب بن وهب الوضاع الكذاب.

٨١٣- «يكون في أمتي رجل يقال له النعمان بن ثابت يكنى أبا حنيفة يجدد الله سنتي على يديه».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٧٨/١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وعلته الجويباري الكذاب الوضاع الدجال كما بينا آنفًا، وأورده الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٩/٢).

٨١٤- «لو أن قطرة من ألم الموت وُضعت على جبال الأرض كلها لذابت».

الحديث لا يصح: أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد» كتاب «الأدب والزهد» ح (١٧٧) ثم قال: «قال في المختصر: لم يوجد». اهـ.

الحلقة (٢٩)

فقه المرأة في الزكاة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد: فقد شرعنا بفضل الله تعالى في الأحكام المتعلقة بالمرأة في باب الزكاة، وذكرنا تعريف الزكاة، وحكم زكاة حلي المرأة، ونستكمل ما بدأناه سائلين الله تعالى أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع به المسلمين.

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

أولًا: هل تدفع الزوجة زكاتها إلى زوجها الفقير؟

بين أهل العلم نزاع في ذلك؛ فذهبت طائفة إلى جواز إعطاء الزوجة زكاتها لزوجها الفقير، واستدل لقولهم بما روي عن عمر بن الحارث عن زينب امرأة عبد الله، قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «تصدقن ولو من حُليكن»، وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها، قال: فقالت لعبد الله: سل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدتُ امرأة من الأنصار على الباب، حاجتها مثل حاجتي، فمرَّ علينا بلال، فقلنا: سل النبي صلى الله عليه وسلم أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام في حجري، وقلنا: لا تخبر بنا فدخل فسأله، فقال صلى الله عليه وسلم: من هما؟ قال زينب، قال صلى الله عليه وسلم: أيّ الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله. قال: نعم لها أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة» (أخرجه البخاري ١٤٦٦، ومسلم ١٠٠٠).

وأيضًا استدل لقولهم بأن الزوجة لا تلزمها الإنفاق على الزوج، وهذا مذهب الشافعي والمشهور عن أحمد وأهل الظاهر واختلفت الرواية عن مالك.

وقالت طائفة: لا يجوز للمرأة دفع زكاتها إلى زوجها الفقير، وحملوا الصدقة التي حضَّ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث على أنها صدقة تطوع وليست الصدقة المفروضة.

وهذا مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك واحدى الروايتين عن أحمد.

ونذكر أقوال أهل العلم:

جاء في مواهب الجليل (٢/٤٢٠): «قوله (وهل يمنع إعطاء زوجة زوجها أو يكره) تأويلان من المدونة. قال ابن القاسم: لا تعطي المرأة زوجها من زكاتها، حملها ابن زرقون وغيره على عدم الإجزاء. وروى ذلك ابن حبيب عن مالك وحملها ابن القصار على الكراهة. قال اللخمي: وإن أعطى أحد الزوجين للآخر ما يقضي به دينه جاز».

جاء في شرح المهذب (٦/١٧٤): «قال أصحابنا ولو كانت الزوجة ذات مال فلها صرف زكاتها إلى الزوج إذا كان بصفة الاستحقاق سواء صرفت من سهم الفقراء والمساكين أو نحوهم؛ لأنه لا يلزمها نفقته فهو كالأجنبي وكالأخ وغيره من الأقارب الذين لا تجب نفقتهم ودفعها إلى الزوج أفضل من الأجنبي».

قال صاحب المغني (٢/٤٠٧، ٤٠٨): «أما الزوج ففيه روايتان:

أحدهما: لا يجوز دفعها إليه وهو اختيار أبي بكر ومذهب أبي حنيفة؛ لأنه أحد الزوجين، فلم يجز للآخر دفع زكاته إليه كالآخر، ولأنها تنتفع بدفعها إليه؛ لأنه إن كان عاجزًا عن الإنفاق عليها تمكن بأخذ الزكاة من الإنفاق فيلزمه وإن لم يكن عاجزًا، ولكنه أيسر بها لزمته نفقة الموسرين فتنتفع بها في الحالتين. فلم يجز لها ذلك كما لو دفعتها في أجرة دار أو نفقة رقيقها.

الرواية الثانية: يجوز لها دفع زكاتها إلى زوجها وهو مذهب الشافعي وابن المنذر وطائفة من أهل العلم؛ لأن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: يا نبي الله... وساق الحديث كما تقدم.

وروى الجوزجاني بإسناده عن عطاء قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت: يا رسول الله إن عليَّ نذر أن أتصدق بعشرين درهمًا، وإن لي زوجًا فقيرًا، أفيجزئ عني أن أعطيه؟ قال: نعم لك كفلان من الأجر.

ولأنه لا تجب نفقته فلا يمنع دفع الزكاة إليه كالأجنبي، ويفارق الزوجة فإن نفقتها واجبة عليه؛ ولأن الأصل جواز الدفع لدخول الزوج في عموم الأصناف المسماة في الزكاة.

وليس في المنع نصٌّ ولا إجماع، وقياسه على من ثبت المنع في حقه غير صحيح لوضوح الفرق بينهما فيبقى جواز الدفع ثابتًا والاستدلال بهذا أقوى من الاستدلال بالنصوص لضعف دلالتها.

وجاء في المحلى (٤/٢٦٧) مسألة ٧٢٢: «وتعطي المرأة زوجها من زكاتها، إن كان من أهل السهام، صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أفتى زينب امرأة ابن مسعود بالصدقة، فسألته: أيسعها أن تضع صدقتها في زوجها وفي بني أخ لها يتامى؟ فأخبرها عليه الصلاة والسلام أن لها أجرين: أجر الصدقة وأجر القرابة.

وإلى هذا القول ذهب الشوكاني في النيل (٤/٢١٠)، والعلامة ابن عثيمين في الشرح

> **“ الأصل: جواز دفع الزوجة الزكاة لزوجها الفقير لدخوله في عموم الأصناف المسماة في الزكاة. ”**

الممتع (٦/٢٦٦).

تعقيب وترجيح

والذي تطمئن إليه النفس في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الشافعي والمشهور عن أحمد وأهل الظاهر من جواز إعطاء الزوجة زكاتها لزوجها الفقير، ومن أشف ما يستدل به أن الزوج الفقير هو أحد الأصناف الثمانية التي جاءت في الآية الكريمة في قوله تعالى: «إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ» (التوبة: ٦٠)، والله تعالى أعلم.

٢- لا تجوز الزكاة على الزوجة:

قال تعالى: «وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ» (البقرة: ٢٣٣). قال تعالى: «لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» (الطلاق: ٧).

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل في حجة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه: فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» (أخرجه مسلم: ١٢١٨).

عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، أو (اكتسبت)، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت» (صحيح سنن أبي داود ٢١٤٢).

وعن عائشة أن هندًا بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (أخرجه البخاري ٥٣٦٤).

«لا يجوز دفع الزكاة للزوجة، لأن نفقة الزوجة واجبة على الزوج وبإعطائها زكاته يدفع عن نفسه النفقة، ويعود إليه مال الزكاة.»

ذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز إعطاء الزوج زكاته إلى الزوجة، وحجتهم في ذلك أن نفقة الزوجة واجبة على الزوج وبإعطائها زكاته يدفع عن نفسه النفقة ويعود إليه مال الزكاة، إلا إذا كانت غارمة فتعطى من سهم الغارمين وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم.

ونذكر بعضًا من أقوال أهل العلم:

قال الكاساني في بدائع الصنائع (٢/٧٤): «ولا يجوز أن يدفع الرجل الزكاة إلى زوجته بالإجماع. وهذا قول الشافعية في شرح المهذب (٦/١٧٣)، ومالك في المدونة (١/٣٤٥) وغيرهم».

قال صاحب المغني (٢/٤٠٧): «أما الزوجة: فلا يجوز دفع الزكاة إليها إجماعًا. قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الرجل لا يعطي زوجته من الزكاة؛ وذلك لأن نفقتها واجبة عليه فتستغني بها عن أخذ الزكاة فلم يجز دفعها إليها كما لو دفعها إليها على سبيل الإنفاق عليها» (الإجماع ص: ٤٩).

والحمد لله رب العالمين.

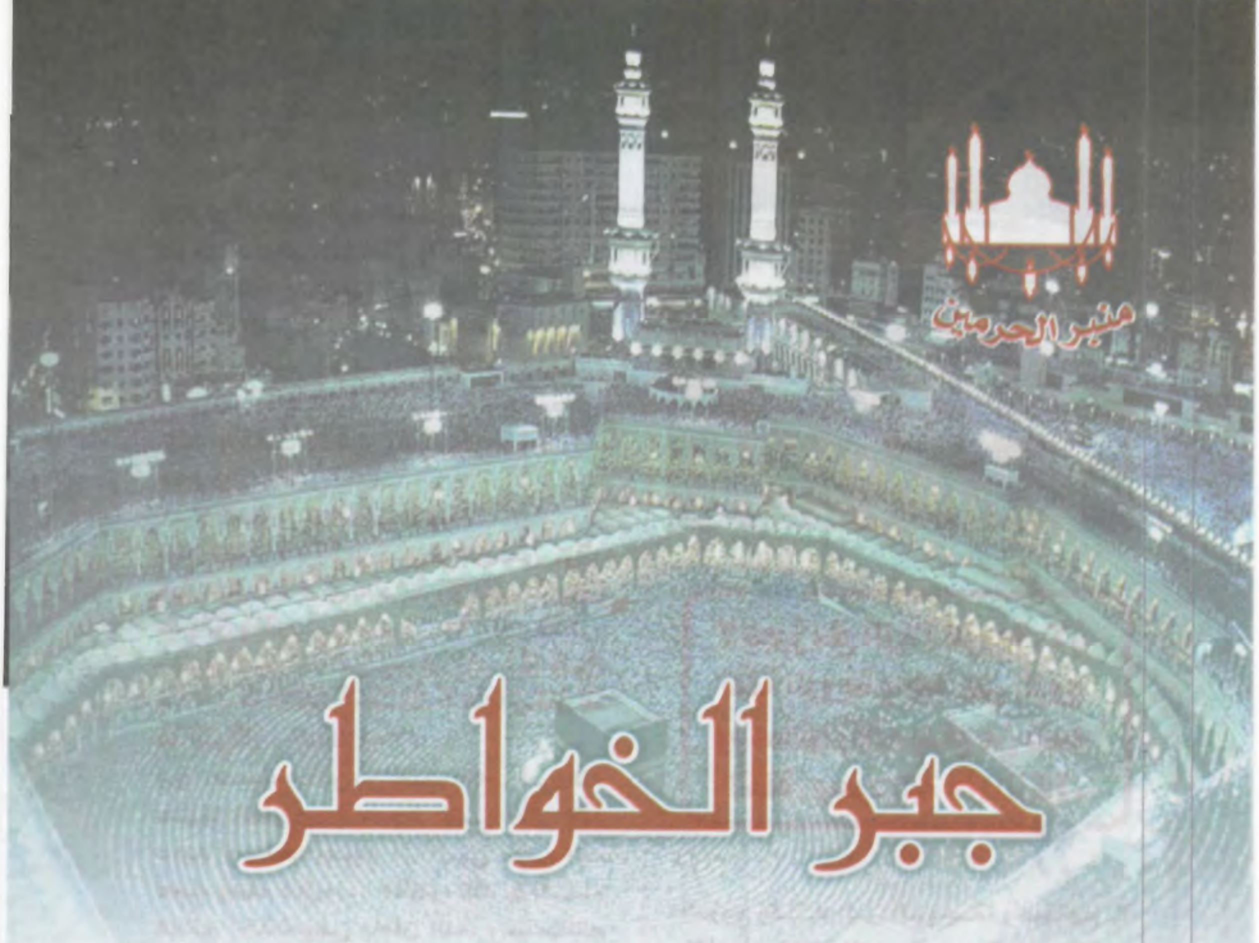

جبر الخواطر

الحمد لله العزيز الغفار، القوي الجبار، (خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) (الرَّحْمَن: ١٤-١٥)، وأشهد ألَّا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، الواحد القهَّار، وأشهد أن سيدنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه المختار، إمام المتَّقينَ الأبرار، صلى الله وسلَّم وبارك عليه، وعلى آله وصَحْبه الأخيار، ما تعاقَب الليل والنهار، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ: فيا معاشرَ المؤمنينَ: اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى: فتقوى الله- تعالى- سبب للبركات، وتكفير السيئات، ودخول الجنات، قال الله-تعالى- عن أهل الكتاب: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ)(المائدة: ٦٥)، وقال عز في علاه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ)(الأعراف: ٩٦).

إعداد الشيخ د: ماهر بن حمد المعيقلي

خطيب المسجد الحرام

أهمية التعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته العلا:

أمة الإسلام: إن التعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته العلا يدعو إلى عبادته، ومحبته وخشيته، وتعظيمه واجلاله، وبحسب معرفة العبد بأسماء الله وصفاته يكون إيمانه واجتهاده في عبادته، ولقد أثنى سبحانه وتعالى على ذاته العلية، فوصف نفسه بصفات

الكمال والجلال، فقال في محكم تنزيله: (هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(الحشر: ٢٣)، فهو-سبحانه- الجبار، الذي له العلو على خلقه، فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، لن يبلغ الخلق نفعه فينفعوه، ولن يبلغوا ضرَّه فيضروه، قهر الجبابرة بجبروته، وعلاهم بمجده وعظمته، وفي سنن ابن ماجه بسند صحيح، عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: "سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وهو على المنبر يقول: يأخذ الجبار سماواته وأراضيه بيده،-وقبَض يده، فجعل يقبضها ويبسطها- ثم يقول: أنا الجبَّار، أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟".

تأملات دقيقة في اسم الله الجبار:

إخوة الإيمان: وكما أن اسم الجبار فيه صفة علو وقوة، فهو كذلك فيه صفة رأفة ورحمة، وفي (سنن الترمذي بسند صحيح)، عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يقول بين السجدتين: "اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني"، فالله-جل جلاله- يجبر الفقير بالغنى، والضعيف بالقوة، والمنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرَج والطمأنينة فيها، ومنْ لطف الجبار وكرمه ينزل-تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ فيقول: "مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟"، فيجبر كسيرا، ويعافي مبتلى، ويشفي مريضا، ويغيث ملهوفا، ويُجيب داعيا، ويُعطي سائلا، ويُفرّج كربًا، ويزيل حزنا، ويكشف همًّا وغمًّا.

> كان-صلوات ربي وسلامه عليه- أصلح الناس قلبًا، وأصدقهم لسانًا، وسع خُلُقه الناس، سهولةً ورفقًا، وفاضت يداه بالعطايا كرمًا وجودًا.

وفي القرآن العظيم يُخبرنا الجبارُ-سبحانه- بجبر قلوب أنبيائه ورسله، فهذا نبي الله موسى-عليه السلام- لما رغبت نفسه إلى رؤية الله-تعالى- وطلب ذلك منه، أخبره سبحانه أن ذلك غير حاصل له في الدنيا، ثم سلاه، وجبر خاطره بما آتاه، فقال: (قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) (الأعراف: ١٤٤)، ولما أخرج النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- من موطنه مكة، وهي أحب البقاع إليه، وقف قبل خروجه على موضع يقال له الحزورة، وهو تل مرتفع يطل على الكعبة. فقال: "ما أطيبك من بلد، وأحبَّك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك، والله إنك لخيرُ أرضِ الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجتُ منك ما خرجتُ" (رواه الترمذي بسند صحيح)، فجبر الله-تعالى- خاطره، وأوحى إليه وهو في طريقه إلى المدينة: (إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ)(القصص: ٨٥)، أي: إن الذي أنزل عليك القرآن وأمرك بتبليغه لرادُّك إلى الموضع الذي خرجت منه، عزيزا فاتحا منتصرا، ولقد صدق الله وعده، ونصر عبده، ووعده بأن يعطيه حتى يرضيه، (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ) (الضُّحى: ٥).

أهمية جبر الخواطر

معاشر المؤمنين: إن جبر الخواطر سجية تدل على سمو نفس صاحبها، ورجاحة عقله، وسلامة صدره؛ فلذلك كان الحظ الأوفر منها لسيد المرسلين وإمام المتقين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، فقد كان-صلوات ربي وسلامه عليه- أصلح الناس قلبًا، وأصدقهم لسانًا، وسع خُلُقه الناس، سهولة ورفقًا، وفاضت يداه بالعطايا كرمًا وجودًا، فكان بالمؤمنين رؤوفا رحيمًا، يجبر خواطرهم، ويتفقد أحوالهم، ويسأل عن غائبهم، ويعود مريضهم، وكان لا يعيب طعاما صنعه آدميٌّ؛ لئلا ينكسر خاطره، ويُنسب إلى التقصير فيه، وإذا بلغه عن الرجل الشيءُ المكروهُ لم يصرح باسمه، ولكن يقول: "ما بال أقوما يقولون كذا وكذا"؛ حفاظًا على

المشاعر وكسبا للود.

وكان صلى الله عليه وسلم من كريم أخلاقه إذا ردَّ هديةً اعتذر لصاحبها تطييبًا لخاطره، (ففي الصحيحين) أن الصعب بن جثامة-رضي الله عنه- أهدى لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- حمارَ وحش-وهو بالأبواء وهو محرم- فرَدَّه صلى الله عليه وسلم، قال صعب: "فلما عَرَفَ في وجهي ردَّه هديتي قال: ليس بنا ردٌّ عليك، ولكنَّا حُرُمٌ"؛ أي المحرم لا يأكل ممَّا صيد من أجله، ومن صور جبره-صلى الله عليه وسلم- ما (أخرجه الترمذي في سننه بسند حسن)، عن جابر-رضي الله عنه- قال: "لقيني رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا جابرُ، ما لي أراكَ منكسرًا-أي منكسر البال والخاطر مهمومًا حزينا- قلتُ: استُشهد أبي وترك عيالا ودَيْنًا، فاجتمعت عليه-رضي الله عنه- وأرضاه أسبابُ الحزن: عيال كثير ودين ثقيل، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- جابرًا لقلب جابر: أفلا أُبَشِّرُكَ بما لقي الله به أباك؟ قلتُ: بلى يا رسول الله، قال: ما كلَّم الله أحدًا قطُّ إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحا فقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أُعطكَ" وكأنه-عليه الصلاة والسلام- يقول: لا تهتم بأمر العيال والدين؛ فإن الله-تعالى- سيقضي عن أبيك دَيْنَه، ويَلْطف بعياله، ولكن أبشرك بما نال والدك من القرب عند الله-سبحانه-، وما لقيه به من الكرامة.

ولا شك-إخوتي الكرام-، أن فقد الولد صدعٌ في الفؤاد، وسببٌ للحزن والانكسار، يحتاج مَنْ أصيبَ بذلك إلى من يجبر خاطره، ويطيِّب نفسه، (ففي سنن النسائي بسند صحيح)، أن رجلا من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- توفي ولده فانعزل عن الناس، فلمَّا فقدهُ النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- قال: "ما لي لا أرى فلانا؟ قالوا: يا رسول الله، بُنَيُّه الذي رأيته هلكَ، فلقيه النبي-صلى الله عليه وسلم- فسأله عن بنيه، فأخبره أنه هلك، فعزَّاه عليه، ثم قال: "يا فلان، أيُّما كان أحبَّ إليك، أن تمتَّع به عمرك، أو لا تأتي غدا إلى باب من أبواب الجنة إلا تجده قد سبقك إليه، يفتحه لك" قال: يا نبيَّ الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي، لَهُوَ أحبُّ إلي، قال: فذاكَ لكَ".

وكشفت الريح يومًا عن ساقي ابن مسعود-رضي الله عنه- فضحك القوم منه، فجبر النبي-صلى الله عليه وسلم- خاطره، وأعلى شأنه وبيَّن مكانته عند ربه، فقال: "والذي نفسي بيده لهما أثقلُ في الميزان من أُحُد" (رواه الإمام أحمد).

وللصغار في حياة النبي-صلى الله عليه وسلم- نصيب من جبر الخواطر، مع ما يحمله من قيادة الأمة، وتكاليف تبليغ الدعوة، ففي (مسند الإمام أحمد) عن أنس-رضي الله عنه- قال: "كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يدخل علينا، وكان لي أخ صغير، وكان له نغر يلعب به فمات، فدخل النبي-صلى الله عليه وسلم- ذات يوم فرآه حزينًا، فقال: "ما شأن أبي عمير حزينا؟" قالوا: مات نغره الذي كان يلعب به يا رسول الله. فقال: "يا أبا عمير، ما فعل النغير".

وتأمَّلْ أخي المبارك كيف كانت مشاعر هذا الصبي الحزين وهو يسترسل في حديثه وبث مشاعره وذكرياته لرسول الأمة-صلوات ربي وسلامه عليه-، وما لهذا الحديث من أثر في تسلية قلبه الصغير الكسير.

من أساليب جبر الخواطر:

إخوةَ الإيمان: ويدخل في جبر الخواطر البشاشةُ والتهنئة، والمصافحة والمعانقة، والمشاركة في سرور وفرح، أو في بكاء وترح، فهذه عائشة-رضي الله عنها-، تذكرت في حادثة الإفك، امرأة من الأنصار شاركتها في حزنها

بدمعات كان لها أعظم الأثر والمواساة، (ففي الصحيحين)، قالت عائشة-رضي الله عنها-: "وقد بكيتُ ليلتين ويومًا، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالقٌ كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنَتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي"، وهكذا حال كثير من أساليب جبر الخواطر، يكفي فيها ابتسامة صادقة، أو كلمة حانية، أو اعتذار عن خطأ أو دعاء.

أولى الناس بجبر الخواطر:

وليكن أخي المبارك لأهلك من جبر القلوب أوفر الحظ والنصيب، وخاصة الوالدين والزوجة والأبناء، والإخوة والأخوات وبقية القرابات، فاجبروا الخواطر، وشاركوا الإخوان في المشاعر، وتذكروا أنها عبادة جليلة يجازي عليها الجبار بأجور عظيمة، ففي (صحيح مسلم) قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "إن الله-عز وجل- يقول يومَ القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني؟ قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني؟ قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي؟».

أحكام الشريعة جاءت بمراعاة الخواطر وجبرها:

معاشر المؤمنين: إن أحكام الشريعة جاءت بمراعاة الخواطر وجبرها، وتطييب النفوس عند كسرها، فشرعت الدية في جبر الخطأ جبرًا لنفوس أهل المجني عليه، وتطييبًا لخواطرهم، واستحبت التعزية لأهل الميت؛ لتسليتهم ومواساتهم، وتخفيف آلامهم، ومن حكم زكاة الفطر جبر قلوب الفقراء؛ ليفرحوا بالعيد كما يفرح به الأغنياء، فمراعاة المشاعر وجبر الخواطر جزء من شريعة الإسلام، وعبادة نتقرب بها إلى الرحمن، فصاحب النفس العظيمة، والقلب الرحيم، رؤوف بإخوانه، رفيق بهم، يجتهد لهم في النصح، ويحب لهم الخير كما يحبه لنفسه، ولا يحمل في صدره غلا لهم، ويتجاوز عن هفواتهم، ويلتمس الأعذار لأخطائهم، ويجبر خواطرهم، ويطيب نفوسهم.

> "ويدخل في جبر الخواطر البشاشةُ والتهنئةُ، والمصافحةُ والمعانقةُ، والمشاركة في سرور وفرح، أو في بكاء وترح."

وأما صاحب اللفظ الجافي، والقلب القاسي فقد مضت سنة الله-تعالى- أن ينفر الناس منه، فلا يُقبل منه توجيهٌ ولا دعوةٌ، ولا تُسمع منه نصيحة، ولا يرتاح له جليس، ولا يأنس به ونيس (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ)(آل عمران: ١٥٩)، وفي (صحيح مسلم) من حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: مَهْ مَهْ-يعني: اكفف- فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "لا تزرموه، دعوه" فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- دعاه فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله-عز وجل-، والصلاة وقراءة القرآن" قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه"، وزاد في (صحيح البخاري)، أن ذلك الأعرابي قال وهو في الصلاة: "اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا"، فلما سلم النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- قال له: "لقد حجَّرتَ واسعًا"؛ يريد رحمة الله.

والحمد لله رب العالمين.

أحداث مهمة وقعت في شهر ربيع

الحلقة (٢)

إعداد **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
أما بعد فهذا لقاؤنا الثاني مع أربعة أحداث مهمة وقعت جميعًا في شهر ربيع الأول. وقد تحدثنا في اللقاء السابق عن حدثين من الأربع وهما ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني هجرته من مكة إلى المدينة.
واليوم بعون الله نتحدث عن الحدثين الثالث والرابع وهما:
٣) وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.
٤) ولاية أبي بكر رضي الله عنه.

أما (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر كما سماها صاحب العواصم من القواصم فهي موت النبي صلى الله عليه وسلم، وسنتناولها في المحاور الآتية:

أولاً: تحقيق أقوال العلماء في تاريخ وفاته صلى الله عليه وسلم:

١) أما يوم الوفاة فهو يوم الإثنين بلا خلاف.

٢) أما سنة الوفاة فهي الحادية عشرة من الهجرة بلا خلاف.

٣) أما الشهر فليس ثمة خلاف أنه شهر ربيع الأول.

ثانيًا: مقدمات بين يدي الوفاة:

حدثت أمور مهمة بين يدي وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؛ كلها تُمَهِّد لتلك الساعة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد نُعِيَتْ إليه نفسه، وقد فهم بعض الصحابة وبخاصة أبي بكر رضي الله عنه إشارات تدل على قرب ساعة الوفاة ومن هذه الأمور:

١) في رمضان من السنة العاشرة اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم عشرين ليلة وراجعه جبريل عليه السلام القرآن مرتين. وكان قبل ذلك يعتكف عشر ليالٍ فقط، ويراجعه جبريل القرآن مرة واحدة، ثم سميت الحجة التي حجَّها النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه حجة الوداع، وكان يكثر فيها من قوله: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» (صحيح الجامع ٧٨٨٢)، وقال وهو عند جمرة العقبة: «خذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا» (صحيح الجامع ٧٨٨٢)، وأنزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع وأنه نُعِيَتْ إليه نفسه» (الرحيق المختوم بتصرف يسير».

٢) وفي أوائل صفر من السنة الحادية عشرة خطب الناس فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها (أي في الدنيا)» متفق عليه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في أيام مرضه فقال: «إنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بيْنَ الدُّنْيا وبيْنَ ما عِنْدَهُ فاخْتارَ ما عِنْدَ اللهِ، فَبَكَى أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عنْه. قَالَ أبو سعيد: فَقُلتُ في نَفْسِي ما يُبْكِي هذا الشَّيْخَ؟ إنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بيْنَ الدُّنْيا وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَ اللهِ، فَكانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هو العَبْدَ، وكانَ أبو بَكْرٍ أعْلَمَنا، قالَ: يا أبا بَكْرٍ لا تَبْكِ، إنَّ آمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِه ومالِه أبو بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِن أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ، ولَكِنْ أُخُوَّةُ الإسْلامِ ومَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابُ أبِي بَكْرٍ» (البخاري رقم ٣٦٥٤).

٣) آخر مشهد رآه النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته:

أخرج الإمام البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ المُسْلمِينَ بيْنا هُمْ في صَلاةِ الفَجْرِ مِن يَومِ الاثْنَيْنِ، وأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لهمْ، لَمْ يَفْجَأْهُمْ إلَّا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عائِشَةَ، فَنَظَرَ إليهم وهُمْ في صُفُوفِ الصَّلاةِ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنَكَصَ أبو بَكْرٍ علَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وظَنَّ أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ أنْ يَخْرُجَ إلى الصَّلاةِ، فَقالَ أنَسٌ: وهَمَّ المُسْلِمُونَ أنْ يَفْتَتِنُوا في صَلاتِهِمْ، فَرَحًا برَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأشارَ إليهم بيَدِهِ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أنْ أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الحُجْرَةَ وأَرْخَى السِّتْرَ. (صحيح البخاري ٤٤٤٨).

> لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء فيها كل شيء، ولما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء.

ثم لم يأتِ على النبي وقت صلاة مكتوبة أخرى؛ حيث لحق بالرفيق الأعلى ضحى ذلك اليوم. وهكذا كان آخر مشهد رآه النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته هو مشهد المسلمين وهم صفوف في صلاة الفجر، وإمامهم أبو بكر رضي الله عنه.

٤) وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه:

وهذه الوصايا من الأهمية بمكان لأنها من آخر ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته:

- أوصى بإخراج المشركين من جزيرة العرب. (متفق عليه).
- أوصى أن يصلي أبو بكر بالناس. (صحيح البخاري).
- وأوصى بالأنصار خيرًا، فقال: «أُوصِيكُمْ بالأنْصارِ، فإنَّهُمْ كَرِشِي وعَيْبَتِي، وقدْ قَضَوُا الذي عليهم، وبَقِيَ الذي لهمْ، فاقْبَلُوا مِن مُحْسِنِهِمْ، وتَجاوَزُوا عن مُسِيئِهِمْ» (صحيح البخاري ٣٧٩٩).
- وأوصى بالصلاة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عامَّةُ وَصِيَّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حينَ حضَرَه الموتُ: الصلاةَ وما ملَكَتْ أيمانُكم، الصلاةَ وما ملَكَتْ أيمانُكم، حتى جعَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُغَرْغِرُ بها صَدرُه، وما يَكادُ يَفيضُ بها لسانُه. (أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٠٩٥)، وابن ماجه (٢٦٩٧) مختصراً، وأحمد (١٢١٦٩) واللفظ له».
- وحذر من اتخاذ المساجد على القبور، وحذر مما يفعله اليهود والنصارى، فقال وكرر: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (أخرجه البخاري ١٣٣٠، ومسلم ٥٢٩).

٥) لحظة الاحتضار:
(بل الرفيق الأعلى):

وبدأت أشد اللحظات وأصعبها بعد أيام في المرض، ونترك الحديث هنا لأمنا عائشة رضي الله عنها كما رواه البخاري في باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم تقول: «إنَّ مِن نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ: أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ في بَيْتِي، وفي يَومِي، وبيْنَ سَحْرِي ونَحْرِي. (تعني رضي الله عنها أنها

أسندته إلى صدرها حين اشتدت عليه سكرات الموت؛ فكان بين رئتها ورقبتها).

وتواصل حديثها فتقول: «وأَنَّ اللَّه جَمع بيْنَ رِيقِي وريقِه عِنْدَ مَوْتِه» وتشرع ذلك فتقول: (دَخَلَ عَلَيَّ عبدُ الرَّحْمَنِ، وبيَدِه السِّواكُ، وأنا مُسْنِدَةٌ رَسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إلَيه، وعَرَفْتُ أنَّه يُحِبُّ السِّواكَ، فَقُلتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فأشارَ بِرَأْسِه: أنْ نَعَمْ فَتَنَاوَلْتُهُ، فاشْتَدَّ عليه، وقُلتُ: أُلَيِّنُهُ لكَ؟ فأشارَ برَأْسِه: أنْ نَعَمْ فَلَيَّنْتُهُ، فأمَرَّهُ)؛ فلينته (يعني بريقها)، فاستاك به أحسن ما يكون السواك» فاجتمع بذلك ريق عائشة رضي الله عنها مع ريق النبي صلى الله عليه وسلم.

وتواصل أمنا عائشة رضي الله عنها فتقول: وكان بين يديه وعاء فيه ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات»، وما إن فرغ من السواك حتى رفع أصبعه وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه وهو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى» (صحيح البخاري ٤٤٤٩).

هكذا فارق النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا، فارقها وهو يحكم جزيرة العرب، ويرهبه ملوك الدنيا، ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم، فارق الدنيا وما ترك عند موته دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة. (صحيح البخاري ٢٧٣٩).

٦) أثر موت النبي على الصحابة:

- قال أنس رضي الله عنه: «لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي المدينة أضاء فيها كل شيء، ولما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما كدنا ننفض أيدينا من دفنه حتى أنكرنا نفوسنا أو قال قلوبنا» (جامع الترمذي ٥/٥٨٨).

- وقال ابن رجب في اللطائف: «ولما توفي رسول الله اضطرب المسلمون؛ فمنهم من دهش فخُولط، ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه، ومنهم من أنكر موته بالكلية» وهو يقصد هنا ما فعله عمر رضي الله عنه.

- وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد.

- وقال ابن إسحاق: «ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت مصيبة المسلمين فكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لما

> **هكذا فارق النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا، فارقها وهو يحكم جزيرة العرب، ويرهبه ملوك الدنيا، ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم، فارق الدنيا وما ترك عند موته دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة.**

توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأبت اليهودية، والنصرانية، ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم». (ابن هشام ج٤).

الحدث الرابع والمهم في هذا الشهر (بيعة أبي بكر رضي الله عنه):

«كان موت النبي هو القاصمة التي قصمت الظهور ومصيبة العمر، وكانت العاصمة في خلافة أبي بكر»، وصدق ابن العربي رحمه الله، وسيظهر لنا صدقه في السطور التالية إن شاء الله.

إن الله عصم الأمة بخلافة أبي بكر من فتنتها الداخلية وفتنتها الخارجية، وهذا ما سنحاول توضيحه بعون الله بإيجاز فيما يلي:

اجتماع السقيفة:

قال الذهبي رحمه الله لما علم الصحابة من المهاجرين أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة في اليوم الذي توفي فيه رسول الله، وتداولوا الأمر بينهم لاختيار خليفة منهم واجتمعوا إلى سعد بن عبادة. فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، فكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر.

فتكلم فأبلغ في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل أبدًا، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء قريش أوسط العرب دارًا وأعزهم أحسابًا؛ فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك؛ إنك خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله. وأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس». (تاريخ الإسلام).

> **ومما نحن أحوج ما نكون إليه الآن: أن هذه الأمة لن تموت ولو قدر الله لها الموت لماتت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها لن تموت؛ لأن مادة الحياة بيد الحي الذي لا يموت.**

ببيعة أبي بكر اجتمعت الأمة وقادها أبو بكر إلى طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

لأنه كان أكثر الناس اتباعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهم ما قام به أبو بكر ما يلي:

١- تأمين الأمة داخليًا، والحفاظ على وحدتها بالقضاء على المرتدين.

٢- تأمين حدود الأمة خارجيًا بإنفاذ جيش أسامة وما حققه من نجاح.

٣- إعداد العدة لإرسال الجيوش الإسلامية لفتح فارس والروم.

٤- اختيار عمر بن الخطاب لخلافته من بعده، والذي أكمل المسيرة التي بدأها أبو بكر، ولم يستطع الأعداء مقاومته إلا بقتله.

٥- جمع القرآن في مصحف واحد، فكان ذلك من عوامل حفظه.

كانت خلافة أبي بكر قصيرة من مدتها عظيمة فيما حققته من إنجاز لا يتسع المجال للحديث عنه هنا.

وأهم ما نتعلمه مما سبق ومما نحن أحوج ما نكون إليه الآن: أن هذه الأمة لن تموت ولو قدر الله لها الموت لماتت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها لن تموت؛ لأن مادة الحياة بيد الحي الذي لا يموت الذي قال: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ » (الحجر:٩)؛ والذكر هو القرآن والسنة، وهما مادة حياة هذه الأمة، وقد تولى الله حفظهما؛ فالأمة باقية-بإذن الله- لإتمام دعوته وتبليغ رسالته التي اختارها للناس، لكنْ هذا مشروط بوجود رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يقتدون بسلف هذه الأمة الكرام، وسيكون ذلك إن شاء الله في الوقت الذي يشاء، وبالكيفية التي يشاء، وعلينا أن نعمل بقوله تعالى: «واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين» (يونس: ١٠٩).

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة
(٢)

فِتْنَةُ المُقلِّينَ بالمُكْثِرِينَ

إعداد **د. عماد عيسى**
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله على نعمه أولًا وأخيرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسلَه ربُّه بالحقّ شاهدًا ومبشَرا ونذيرًا، وبعد:

فإنَّ الله تعالى قد جعَل لكل داءٍ دواءً، ولكُلِّ علة شفاءً - خلا المَوْت - وهذه إشاراتٌ وومَضاتٌ، قد تصلح أن تكون قلادةَ جيد، وقاعدة تجويد؛ إذ إنها تُعينُ على تخطي العَقَبة الكؤود في هذا الزمان وهي فتنة النَاس بعضهم ببعْض لا سيَّما فتنة المُقلَين بالمُكْثرين.

فعالِجْ نفسَك وأصلِحْ حالك بمَا يَلي:

أولًا: عوِّدْ نفسك الصَّدقة:

خُلُق الإنفاق له مكانَةٌ من الفخَامَة والنُّبْل كما أنه دَليلٌ قاطع وبرهانٌ ساطع على أصَالَة معْدن صاحبه وحُبِّه لدينه وإيثاره لَما يبْقَى على ما يَفَنَى، من أجْل ذَلك تَسكنُ إليه النُّفوس الأبيَّة سكونَ الصَادي إلى بَرْد المَاء، ويَميل إليْه ذَوُو الطباع السوية مَيْل المَاء إلى بطْنَ الوَادي بحَيْث لا يُمنَع ولا يُدْفَع.

إنَّ المؤمنَ العاقلَ الذي لا تصرعُه شهْوَة، ولا تخدَعُه لذَّة، ولكي لا تَتَتَابع القَطرَات وتصبحَ سَيْلًا بتَوَالي الغَفلات فاجْعلْ لنفسك عادةً في الصَدقة، واعْتيادًا في الإحسَان، وكُنْ سَمْح النَّفْس بالمَال؛ فإنَّ العادَة مُحَكَمة، واعلم بأَنَّ خصالَ الخير تَزيدُ وتنقُص بَحَسب صاحبها، فإذا تعَاهد المرءُ نفسَه بالْخَيْر صارتْ عزيمتُه مُوقدَةً لَما خَمَد، ومُحَرّكة لما جَمَد كما يتحَالم غيرُ الْحَليم، ويتكَاظَم الغاضب، ويترَاشَد الغَبيَ، ويتصَاحَح العَييَ، ويتأنَى الطائش؛ فقدْ يصبحُ البخيلُ كَريمًا والمُمْسك جيّدًا.

وانتهز الفرصة وحقِّق في نَفْسك بعضَ حديث نبيِّنا صلى الله عليه وسلم: «سَبَقَ درْهَمٌ ألْفَ درْهَم» تَرْقى إلى رَبْوة الإيمان، وتُبصرُه بعيْنٍ لا قَذى بها، وتجد في قلبك خيرًا بلا مريَة، وتخبر عنه بلا فرية، ومتى صدقْتَ في هذه السَبيل قدْرَ استطاعَتك، وعلى مقدار مُكْنَتك أحسَسْتَ بنورٍ في قلْبك

كالنهار إذا ارتفع، والقمر إذا استنار حين طلع.

الإنفاق عمل من أراد الآخرة وسعى لها:

لن ينفق المرء عادة إلا إذا حضرت الآخرة على باله، وقفزت إلى فكره وصارت جزءًا من حاله، وصارت همًّا له غالبًا عليه، وهذا يفسر غامض حالنا ومشكله إذ إن أكثر الناس مقترين وليسوا مقلين ولا مملقين (فقراء).

وقد جاء الأمر بالإنفاق قبل نزول الموت بغتة، قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » (البقرة: ٢٥٤)، وقال تعالى أيضا: « وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ » (المنافقون: ١٠). وساعتها يتجرع العبد الغصص ويحمل على مرها وفي تلك الساعة يغلب على المرء الندم ويهجم عليه حب الرجوع ليعمل صالحا ولينفق، ولن يستطيع رجوعا، بل لو رجع أحد هؤلاء لعاد لما كان عليه «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون»، فتعجل بأعمال البر خشية الموت وقبل الفوت.

جود العرب قبل الإسلام:

لئن كان لكل أمة فضائل ورذائل، ولكل قوم محاسن ومساوئ، فيها ما فيها من كمال وتقصير؛ لأن الأخلاق قد أفاضها الله على جميع الخلق، وجعلها مفضوضة بينهم مبثوثة فيهم، فلقد كان العرب أعقل الأمم لصحة فطرتهم واعتدال فكرتهم وصفاء قريحتهم، وسلامة ونقاء طينتهم، ولذا كانوا قديمًا أهل كرم وبرٍّ، فإغاثة الملهوف وإعانة المستجير تجري فيهم جري الدماء في العروق.

حال كثير من المسلمين اليوم:

اعلم أن الداء الدوي الذي أعيا أمره الألباء، وحار فيه الأطباء هو داء البخل وعدم الإنفاق، فمع دعوة الناس إليه وحثهم عليه تجد الأكثرين ناكصين مولين الأدبار.

وكثير منهم يشتكي ولو من غير علة، ويشكو الفاقة من غير قلة، فخيره يغيض، وشره يفيض، ومنهم من يسأل الناس إلحافا وينفقه إتلافا، وفيهم من وجهه للسائلين عبوس، وخيره عنهم محبوس.

ومنهم من كلامه للفقراء وعيد، وبصره للمعوزين حديد، فقربه مصيبة، وبعده حروب حريبة، يأخذ لمًّا، ويوسع الآخذ ذمًّا، يؤذي الأخيار ويعمل الإقتار، فأي خلاق في قوم كهؤلاء هجروا الدين وعروا من الحياء ونسوا الأخلاق، فاللهم سلم سلم.

إن أمثال أولئك المبعدين لن يظفروا بطائل، ولن يفعلوا فعال الخيرين الأماثل، فغاية أحدهم لو أحسن إلى فقير يومًا أن يتشبه بالمنفقين لكنه من المنقوصين.

مهمة الدعاة إلى الله وواجب المصلحين تجاه ذلك:

يحتاج الدعاة إلى يشفوا من الناس تلك العلة بالنظر في زواياها والتغلغل في مكامنها وتتبع ذلك كتتبع المرء الماء حتى يصل إلى منبعه مع ترويض الناس على حب الإنفاق حتى يشرح الله له الصدور.

وينبغي أن يكون للدعاة إلى الله كلام يحاضون به على المكارم ويحثون به على اصطناع المعروف ويرغبون به الناس في ابتناء المحامد واكتناز الفضائل.

ولا بد أن يكون لهم في علاج فاسد الأخلاق والفعال، وإصلاح ذميم الصفات والخلال فكر وروية، حتى تصبح الأخلاق الحسنة شيئًا ينتهي به الناس عن المنكر ويرغبون به في الجميل ويتجنبون به النقائص والدنايا.

وليكن على بال الداعي إلى الله تعالى أنه يزاول أمرًا عظيمًا يجب أن يقدره قدره، وأنه يدخل بحرًا عميقًا لا يدرك قعره، والخطب فيه جليل، والمحصول منه في زماننا قليل.

ولا بد أن يشعر الناس أن المقل في الإنفاق ملوم، وأن القابض يده عنه مذموم حتى تجري عادتهم بخلافه، وتنشط همتهم إلى الخلاص من الإمساك وإتلافه.

نسأل الله السلامة والعافية، وللحديث صلة بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين.

واحة

من نور كتاب الله

جزاء الصبر على الطاعة ولزوم العبودية

قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ» (الرعد: ٢٢).

من دلائل النبوة

نَصْر الله لرسوله واستجابته دُعاءَه

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: "غَزَوْنا مع رَسول الله صلى الله عليه وسلم حُنَيْنًا، فلمّا واجهْنا العدُوَّ.. فلمّا غشُوا رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَزَل عَن البَغْلَة، ثُمّ قَبَض قَبْضَةً من تُرابٍ من الأَرْض، ثُمَّ استَقْبَلَ به وُجُوهَهُم، فقال: شاهَت الوُجُوهُ، فما خَلَقَ الله منهمْ إنسانًا إلا مَلأَ عَيْنَيْه تُرابًا بتلك القَبْضَة، فوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فهَزَمَهُمُ الله عزَّ وجَلَّ، وقَسَمَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم غَنائِمَهُمْ بيْنَ المُسْلمينَ". (صحيح مسلم ١٧٧٧).

حكم ومواعظ

عن وهب بن منبه، قال: قال رجل من العُبَّاد لابنه: «يا بني، لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل (التوبة لابن أبي الدنيا).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

" إن لي حرفتين اثنتين، فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني: الفقر والجهاد". منكر، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه تعوذ من الفقر، فكيف يعقل أن يحض أمته على حبّ ما تعوَّذ منه؟ (السلسلة الضعيفة للألباني).

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية في الاغترار بالدنيا:

هي الدنيا؛ إذا كملت... وتمّ سرورها خذلت
وتفعل في الذين بقوا... كما فيمن مضى فعلت

(العقد الفريد)

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب صدوق اللسان"، قالوا: صدوقُ اللسان نعرفه، فما مخمومُ القلب؟ قال: هو التقيُّ النقيُّ لا إثم فيه ولا بغيَ ولا غل ولا حسد" (صحيح ابن ماجه ٣٤١٦).

من أقوال السلف

قال عامر بن يساف: سمعت الأوزاعي يقول: إذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث؛ فإياك أن تقول بغيره؛ فإنه كان مبلِّغًا عن الله" (تذكرة الحفاظ للذهبي).

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

قال ابن تيمية: "وهذا الجواب من مالك -رحمه الله- في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصفات. مثل النزول والمجيء، واليد والوجه، وغيرها. فيقال في مثل النزول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهكذا يقال في سائر الصفات؛ إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة" (مجموع الفتاوى).

من فضائل الصحابة

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: "لو لم يكن في عثمان رضي الله عنه إلا هاتان الخصلتان كفتاه: جمعه المصحف، وبذله دمه دون دماء المسلمين" (الشريعة للآجري).

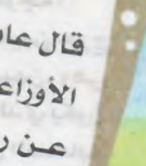

من معاني الأحاديث

«لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» الرشوة: الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة. وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء. فالراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل. والمرتشي الآخذ. والرائش الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا. فأما ما يُعْطَى توصلاً إلى أخذ حقّ أو دفْع ظلم فغير داخل فيه" (النهاية لابن الأثير).

أثر السياق في فهم النص

(١٢٠)

حجاب المرأة المسلمة

(٣٠)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً حول حجاب المرأة المسلمة-الدليل والاستدلال-، وقد انتهيت-بفضل الله تعالى- من أدلة القرآن الكريم، ثم انتقلت إلى أدلة السنة، ووصلت إلى الدليل الثاني والثلاثين.

الدليل الثاني والثلاثون

عن عاصم الأحول قال: «كنا ندخل على حفصة بنت سيرين (من التابعين)، وقد جعلت الجلباب هكذا، وتنقبت به، فنقول لها: رحمك الله، قال الله تعالى: «وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ» (النور: ٦٠). هو الجلباب. قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ)؛ فتقول: هو إثبات الجلباب» (السنن الكبرى للبيهقي ح ١٣٥٣٤، وصحح إسناده الألباني في جلباب المرأة المسلمة ص١١٠).

ورأينا من استدل بالآية وبالأثر على وجوب النقاب؛ على اعتبار أن النساء مأمورات كلهن بتغطية وجوههن، وأن المرأة الكبيرة فقط هي التي يجوز لها كشف وجهها. ثم انتقلت إلى سؤال هو: هل وضع الثياب في الآية بمعنى وضع النقاب عن الوجه؟

يقول الطبري في معنى الآية: «فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهن، يعني جلابيبهن، وهي القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب. ثم نقل بأسانيده عن بعض الصحابة والتابعين وغيرهم. وضع الثياب في قوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) معناه يدور بين وضع الجلباب، القناع، الرداء، الخمار. (انظر تفسير الطبري ١٩/ ٢١٥-٢١٨).

وفي تفسير القرطبي: «والعرب تقول امرأة واضع: للتي كبرت فوضعت خمارها. ونقل عن ابن مسعود وابن عباس-رضي الله عنهما- إنه الجلباب، وقال قوم: الكبيرة التي أيست من النكاح لو بدا شعرها فلا بأس، فعلى هذا يجوز لها وضع الخمار. ثم قال: والصحيح أنها (القواعد) كالشابة في التستر، إلا أن الكبيرة تضع الجلباب الذي يكون فوق الدرع والخمار (انظر تفسير القرطبي ١٢/ ٣٠٨-٣٠٩).

وكذلك نقل ابن كثير أنه الجلباب أو الرداء. (انظر تفسير ابن كثير ٦/ ٨٣-٨٤).

وهكذا قال قدامى المفسرين؛ (انظر تفسير مقاتل بن سليمان ٢٠٨/٣، تفسير ابن وهب ٨٩/٢، تفسير يحيى بن سلام ٤٦١/١، تفسير الزجاج ٥٣/٤، تفسير ابن أبي حاتم ٢٦٣٩/٨-٢٦٤٢، تفسير الماتريدي ٥٩٣/٧، تفسير الماوردي ١٢١/٤-١٢٢)؛ ففي هذه التفاسير لم أقف على أحد فسَّر وضع الثياب بالنقاب - فيما أعلم-، وأن ما جاء في معنى وضع الثياب عند هؤلاء المفسرين يدور بين الجلباب، والرداء، والقناع، والخمار، والملحفة. لكن من قال: إن المعنى في الآية هو النقاب ذهب إلى أن القناع معناه النقاب.

لكن قد يتساءل متسائل: أليس القناع هو غطاء الوجه (النقاب)؟ وقد سبق أن بينت معنى القناع لغة عند العرب، وسأشير إلى ذلك لتمام الفائدة. قال في مقاييس اللغة: قناع المرأة: ما تديره برأسها (انظر مقاييس اللغة ٣٣/٥)، وفي المحكم قال: وهو أوسع من المقنعة (أي: القناع)، وقد تقنعت به، وقنعت رأسها (انظر المحكم ٢٢٨/١).

وفي شمس العلوم: «ما تقنع به المرأة رأسها» (انظر شمس العلوم ٥٦٣٩/٨). وفي النهاية: «رجل مقنع بالحديد: هو الذي على رأسه بيضة، وهي الخوذة؛ لأن الرأس موضع القناع» (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١١٤/٤).

وفي لسان العرب قال: «المقنع والمقنعة ما تغطي به المرأة رأسها.. والقناع أوسع من المقنعة، وقد تقنعت به وقنعت رأسها.. والقناع والمقنعة: ما تتقنع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها.. قال الأزهري: ولا فرق عند الثقات من أهل اللغة بين القناع والمقنعة». (انظر لسان العرب، مادة قنع ٣٠٠/٨-٣٠١).

فما وقفت على كتاب من كتب اللغة أنهم قالوا: إن القناع هو النقاب، لكن قد يقال هو ما تغطي به المرأة رأسها، ويكون الوجه تابعًا للرأس في التغطية، لكن يبقى هذا على الاحتمال.

والآية -عمومًا- ليست نصًا قطعيًا في وجوب النقاب أو عدم وجوبه، وإنما هي تتكلم عن القواعد (الكبيرات السن)، ويستنبط منها بمفهوم المخالفة نهي المرأة الشابة عن التبرج، مما يجعل الآية من أدلة الحجاب على عمومه، وليست الآية في خصوص النقاب - والله أعلم-.

الدليل الثالث والثلاثون:

قال ابن هشام - رحمه الله - وذكر عبدالله بن جعفر بن مخرمة عن ابن عون، قال: «كان مِنْ أمرِ بني قَيْنُقاعَ أنّ امرأةً من العرب قدمتْ بجلب لها (أي: ما يُجلب للأسواق ليُباع فيها)، فباعتْه بسوق بني قَيْنُقاع، وجلستْ إلى صائغ بها، فجعلوا يُريدونها على كشف وجْهها، فأبَتْ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقدهُ إلى ظهْرها، فلمّا قامتْ انكشفتْ سوأتُها، فضحكوا بها، فصاحتْ. فوثب رجُل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، وشدّتْ اليهودُ على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرّ بينهمْ وبين بني قيْنقاع» (سيرة ابن هشام ٤٧/٢-٤٨).

وهذا الأثر منقطع من أعلى السند وأسفله؛ فعبدالله بن جعفر هو الذي روى عن ابن هشام لم يلتقه، فالسند معلق، من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو موسل؛ لأن ابن عون تابعي صغير توفي ١١٦هـ لم يدرك الواقعة. قال الألباني: إسناده ضعيف، ظاهر الضعف. (وانظر: دفاع عن الحديث النبوي ص٢٦-٢٧، تخريج فقه السيرة ٢٤١).

يقول البوطي بعد أن ساق هذا الدليل كدليل من أدلة وجوب النقاب: «وهو يدل على أن الحجاب الذي شرعه الإسلام للمرأة سائغ للوجه أيضا، وإلا لم يكن هناك أي حاجة إلى أن تسر هذه المرأة في الطريق ساترة وجهها، ولو لم يكن سترها لوجهها تحقيقًا لحكم ديني يأمرها بذلك، لما وجد اليهود ما يدفعهم إلى ما صنعوا؛ لأنهم إنما أرادوا من ذلك الديني الذي كان يبدو جليًا في مظهرها. ثم قال: وقد يقال: إن في هذه القصة التي تفرد بروايتها ابن هشام بعض اللين، فلا تقوى على الدلالة على مثل هذا الحكم، إلا أنه يشهد لها

أحاديث كثيرة أخرى ثابتة لا مجال للطعن فيها. ثم ذكر أدلة أخرى.. ثم قال: هكذا من حيث ما ورد من الأدلة على وجوب ستر المرأة وجهها وبقية جسمها عن الرجال الأجانب».
يقول الألباني ردًا على ما ذهب إليه البوطي: «فهو إسناد ضعيف ظاهر الضعف؛ فمن الغرائب أن يُستدل بمثله على وجوب ستر المرأة لوجهها، وهو لو صحّ لم يدل على أكثر من مشروعية ذلك. أما الوجوب فمن أين؟ ثم ذكر أن بعض طلبة كلية الشريعة تساءلوا عن تاريخ غزوة بني قينقاع التي وقعت فيها هذه الحادثة؟ على اعتبار أن آية الحجاب نزلت في غزوة الأحزاب. فإن كانت غزوة بني قينقاع قبل الأحزاب كان هذا دليلاً على أن حجاب المرأة في الحادثة لم يكن عن أمر به في الآية.

فقلت: صدقت. فنظرنا فإذا الغزوة الأولى (بنو قينقاع) قد ذُكرت في كتب السيرة قبل الأحزاب. فستر المرأة لوجهها -إن صح في الواقعة- لم يكن دينيًا لا بد من التزامه، وانما كان تعففًا منها، وإن مما يؤيد ذلك ما في البخاري أن عائشة وأم سلمة -رضي الله عنهما- رُئيتْ خلاخيل سوقهما يوم أُحد وهما يحملان القرب على متونهما، فقال: الحافظ ابن حجر: كانت هذه الواقعة قبل الحجاب. ثم قال الألباني: وغزوة أُحد كانت بعد غزوة بني قينقاع أيضًا». (انظر دفاع عن الحديث النبوي صـ٢٦-٢٧).

ثم استدل الألباني بهذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ» الآية (النور:٣١). فنسخ واستثنى من ذلك «وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» الآية. (النور:٦٠). (سنن أبي داود ح ٤١١١، وقال الألباني: حسن الإسناد).

قال الألباني: وقد أورده مختصرًا؛ ثم رأيت ابن عباس رضي الله عنهما قد صرح بهذا المعنى، وأن آية «القواعد» مستثناة من آية «الخمار» (انظر جلباب المرأة المسلمة صـ١١١).

قلت: يقيد الألباني الاستثناء على ضرب الخُمُر، والآية بها ثلاثة أوامر وثلاثة نواه:
الأوامر في الآية: ١- غض البصر. ٢- حفظ الفروج. ٣- ضرب الخمار.
والنواهي: ١- عدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها. ٢- عدم إبداء الزينة إلا لبعولتهن أو آبائهن. ٣- عدم الضرب بالأرجل.

فعلى ماذا يعود النسخ والاستثناء في قول ابن عباس رضي الله عنهما؟ قال في عون المعبود: «والحاصل أن الآية الأولى بعمومها كانت شاملة للقواعد من النساء أيضا، فلما نزلت الآية الثانية خرجن من حكم الآية الأولى فلهن ألا يغضضن أبصارهن» (انظر عون المعبود ١١/١١٣-١١٤). وأستبعد أن يكون النسخ والاستثناء من غض البصر، وتمنع أن يكون من حفظ الفرج، فيبقى معنى في الآية ضرب الخمار؟ فهل الاستثناء للقواعد من ضرب الخمار؟

ورأينا ذلك في أقوال بعض الصحابة والتابعين وغيرهم عندما تكلمت عن آية القواعد -وهذا ما ذهب إليه الألباني في استدلاله-، لكن يبقى معنا: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ»، وأستبعد أن يكون الاستثناء من ضرب الأرجل، فالقاعدة من النساء لا تقوى على ضرب الأرض بالأرجل. فيبقى معنا أن النسخ والاستثناء يدور ما بين ضرب الخمار، وعدم إبداء الزينة إلا للمحارم، ويمكن الجمع بينهما أنه يجوز لها أن تضع خمارها أمام غير محارمها مع عدم التبرج بالزينة، كما ورد القيد في الآية. قال الطبري عن الآية: «لا حرج عليهن أن يضعن ذلك» (جلابيبهن، القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب)، عند المحارم من الرجال، وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة». (انظر تفسير الطبري ١٩/٢١٥-٢١٧)، وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

صلاة التطوّع

الحلقة (٨)

صلاة الكسوف

(١)

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله المصطفى وبعد:

فما يزال الحديث موصولاً عن صلاة التطوع وقد تكلمنا في الحلقات السابقة عن صلاة الضحى. ونبدأ في هذه الحلقة الحديث عن صلاة الكسوف وما يتعلق بها من أحكام.

والكسوف والخسوف من آيات الله وقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم "إنَّ الشَّمْسَ والْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّه" رواه البخاري (١٠٤٤) و مسلم (٩٠١). وهما للتخويف، وقد اعتاد النَّاس في كل عام في العالم كله تجهيز مناظيرهم، واختيار أفضل الأماكن للسفر إليها لمشاهدة الكسوف أو الخسوف!! وهو من تغيير أحكام الشرع، ومن مخالفة السبب الذي أوجد الله له هذه الآيات: وهو تخويف عباده. عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ" رواه البخاري (١٠٤٨).

ولا يمنع أن يكون ذلك معروفًا بالحساب، قال ابن دقيق العيد: ربما يعتقد بعضهم أن الذي يذكره أهل الحساب ينافي قوله صلى الله عليه وسلم "يخوف الله بهما عباده" وليس بشيء لأنَّ لله أفعالاً على حسب العادة، وأفعالاً خارجةً عن ذلك، وقدرته حاكمةٌ على كل سبب، فله أن يقتطع ما يشاء من الأسباب والمسببات بعضها

إنَّ لله أفعالاً على حسب العادة، وأفعالاً خارجةً عن ذلك، وقدرتُه حاكمةٌ على كلِّ سببٍ.

عن بعض، وإذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وأنه يفعل ما يشاء إذا وقع شيءٌ غريبٌ حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد، وذلك لا يمنع أن يكون هناك أسبابٌ تجري عليها العادة إلى أن يشاء الله خرقها؛ وحاصله: أنَّ الذي يذكره أهل الحساب إن كان حقًّا في نفس الأمر لا ينافي كون ذلك مخوفًا لعباد الله تعالى. (نقله عنه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٦/٣٨٦).

وعلَّق على كلام ابن دقيق العيد الشيخُ عبد العزيز بن باز رحمه الله، فقال: ما قاله ابن دقيق العيد هنا تحقيقٌ جيِّدٌ، وقد ذكر كثيرٌ من المحققين- كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم- ما يوافق ذلك، وأنَّ الله سبحانه قد أجرى العادة بخسوف الشمس والقمر لأسبابٍ معلومةٍ يعقلها أهل الحساب، والواقع شاهدٌ بذلك ولكن لا يلزم من ذلك أن يصيبَ أهلُ الحساب في كل ما يقولون، بل قد يخطؤون في حسابهم، فلا ينبغي أن يُصدَّقوا ولا أن يُكذَّبوا، والتخويف بذلك حاصل على كل تقدير لمن يؤمن بالله واليوم الآخر. والله أعلم. ا.هـ هامش " فتح الباري ".

ونتناول فيها المسائل الآتية: معنى الكسوف والخسوف، وهل خسوف القمر مثل كسوف الشمس؟ ما يُفعل وقت الكسوف، مشروعية وحكم صلاة الكسوفين ونحوها، وقتها، صفتها (كيفيتها، الجهر والإسرار بالقراءة فيها، هل من شرطها الخطبة؟ والجماعة فيها وموضعها) متى يدركها المسبوق؟ هل تقدم صلاة الكسوف على غيرها عند اجتماعها معها؟ فهذه مسائل أصول في هذا الباب نتناولها بالبحث.

المسألة الأولى: معنى الكسوف والخسوف:

الكسوف والخسوف: شيء واحد، ويقال لهما كسوفان وخسوفان، والأشهر في تعبير الفقهاء وهو الأشهر في اللغة: تخصيص الكسوف بالشمس والخسوف بالقمر.

والكسوف: هو ذهاب ضوء الشمس أو بعضه في النهار لحيلولة ظلمة القمر بين الشمس والأرض.

والخسوف: هو ذهاب ضوء القمر أو بعضه ليلاً لحيلولة ظل الأرض بين الشمس والقمر. ولا يحدث عادة كسوف الشمس إلا في الاستسرار آخر الشهر إذا اجتمع النيِّران، كما لا يحدث خسوف القمر إلا في الإبدار، إذا تقابل النيِّران. (الفقهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُه ا.د. وَهْبة الزُّحَيْليّ).

وقال الحافظ ابن حجر: ولا شك أن مدلول الكسوف لغة غير مدلول الخسوف لأن الكسوف التغير إلى سواد والخسوف النقصان أو الذل، قال: ولا يلزم من ذلك أنهما مترادفان. وقيل بالكاف في الابتداء وبالخاء في الانتهاء. وقيل بالكاف لذهاب جميع الضوء وبالخاء لبعضه. وقيل بالخاء لذهاب كل اللون وبالكاف لتغييره (فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢/٥٣٥).

ويجاب عنه بان قد جاءت الأحاديث بهما في كل منهما وسيأتي ذكرها.

وصلاة الكسوف: صلاة تؤدَّى بكيفيَة مخصوصة، عند ظلمة أحد النَّيِّرين أو بعضهما. فهي الصلاة المسنونة المشروعة عند حصول كسوف للشمس أو للقمر. (انظر الفقهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُه ا.د. وَهْبة الزُّحَيْليّ، الموسوعة الفقهية الكويتية).

المسألة الثانية: ما ينبغي فعله وقت الكسوف والخسوف

(١) الصلاة لأمر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بها وسيأتي ذكر أحكامها.

(٢) الصدقة.

عن عائشة أنها قالت: خسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس .... ثم قال: ... فإذا رأيتم ذلك ... وصلوا وتصدقوا" رواه البخاري (١٠٤٤) ومسلم (٩٠١).

(٣) الدعاء.

عن المغيرة بن شعبة قال: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم فقال الناس انكسفت لموت إبراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي". رواه البخاري (١٠٦١) ومسلم (٩١٥).

(٤) ذكر الله والاستغفار.

عن أبي موسى قال خسفت الشمس فقام النبي صلى الله عليه وسلم فزعا.... وقال .... فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره". رواه البخاري (١٠٥٩) ومسلم (٩١٢).

(٥) التعوذ بالله من عذاب القبر.

عن عائشة أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عائذًا بالله من ذلك، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة مركبًا فخسفت الشمس.. وقال في آخره ثم انصرف فقال ما شاء الله أن يقول ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر. (رواه البخاري: ١٠٥٠).

المسألة الثالثة: مشروعية وحكم صلاة الكسوفين

إن الحوادث الكونية من آيات الله عز وجل العظيمة التي يخوف بها عباده، والتي يبين بها سبحانه للخلق كلهم أنه لا طاقة لهم بها، ولا يستطيعون دفعها. ومن هذه الآيات كسوف الشمس والقمر، وكذلك الزلازل والرياح العاصفة الشديدة وغيرها. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ما يشرع للمسلم فعله عند وقوع آية من هذه الآيات.

حكم الصَّلاة لكسوف الشَّمس والقمر:

الصَّلاة لكسوف الشَّمس سنَّة مؤكَّدة عند أكثر الفقهاء، وفي قول للحنفيَّة: إنَّها واجبة. أمَّا الصَّلاة لخسوف القمر فهي سنَّة مؤكَّدة عند الشَّافعيَّة والحنابلة، وهي حسنة عند الحنفيَّة، ومندوبة عند المالكيَّة.

> إن الحوادث الكونية من آيات الله عز وجل العظيمة التي يخوف بها عباده، والتي يبين بها سبحانه للخلق كلهم أنه لا طاقة لهم بها، ولا يستطيعون دفعها.

والأصل في ذلك الأخبار الصَّحيحة: كخبر الشَّيخين: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله، وصلُّوا حتَّى ينجلي »، « ولأنَّه صلى الله عليه وسلم صلَّاها لكسوف الشَّمس » كما رواه الشَّيخان، ولكسوف القمر كما رواه ابن حبَّان في كتاب الثِّقات.

والصَّارف عن الوجوب: حديث الأعرابيِّ المعروف: فعن طلحة بن عبيدالله يقول جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال هل عليَّ غيرها قال: لا إلا أن تطوع.. قال فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق. (رواه البخاري).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالي

والحمد لله رب العالمين.

مفهوم لغة الجسد في القرآن والسنة

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن لغة الجسد في القرآن والسنة، وكنا في العدد الماضي نتحدث عن شواهد التأصيل الشرعي للغة الجسد في القرآن الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٧- لطم الوجه براحة اليد:

هذه الإيماءة قد تدل على الخجل والحياء، أو التعجب والاستغراب، وقد استخدمتها امرأة إبراهيم عليه السلام حينما بشرت بالولد، وهي عجوز عقيم، قال تعالى: «وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ» (سورة الذاريات، آية: ٢٨-٢٩)، قال الزمخشري المصدر السابق: ٤/٣٩٢).

«قال الحسن: أقبلت إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم؛ لأنها وجدت حرارة الدم، فلطمت وجهها من الحياء. فصكت: فلطمت ببسط يديها، وقيل: فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب».

٨- رفع الثوب اتقاء البلل:

عادة ما يلجأ الإنسان إلى رفع ثيابه السفلى إلى الأعلى، إن كان يريد أن يلج ماء أو يتخطاه، وذلك لئلا تبتل الثياب، وهذا عين ما حصل لبلقيس حينما دخلت الصرح «وهو القصر المشيد الفخم، أو البهو الكبير الذي يجلس فيه الملوك».

رفعت ذيل ثوبها حتى لا يصيبه البلل؛ لأنها ظنته ماء قال تعالى: «قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن

قَوَارِيرُ» (النمل: ٤٤)، «حسبته لجة، ظنته ماء، والإنسان إذا رأى أمامه ماء أو بللا يرفع ثيابه بعملية آلية قسرية حتى لا يصيبه البلل؛ لذلك كشفت عن ساقيها يعني: «رفعت ذيل ثوبها»، ولكن هنا تلحظ أنَّ هناك تعاونًا بين الرأس واليدين والساقين لإنجاز المهمة.

٩- الإعراض عن الغير:

للإعراض عن الناس إيماءات متقاربة، كلها تلتقي عند وجه الإنسان، وهي ثلاث:

- الإعراض بالوجه فقط: يستخدم الإنسان هذه الإيماءة ليُشعر من أمامه بأنه لا يرغب في الحديث معه، أو الاستماع إليه، إما تكبرًا عليه واحتقارًا له، أو استثقالا له، وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك كله في قوله تعالى: «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ» (سورة لقمان، آية: ١٨)، قال الزمخشري المصدر السابق: ٣/٤٨٢).

«أقبل على الناس بوجهك متواضعًا، ولا تولهم وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون» ولقد كان صلى الله عليه وسلم من صفته «إذا كلمه أحد التفت إليه كاملا»، فيشعر محدثه بالأهمية فيسترسل في الحديث ويلهم الكلام.

- الإعراض بالوجه والنأي بالجنب: إذا لم يرغب الإنسان فيمن أو فيما أمامه أعرض عنه أي: انحرف عنه بجنبه، ولم يباشره بوجهه تعبيرًا منه عن رفضه له، وزهده فيه، أو استغنائه عنه، قال تعالى: «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ» (سورة الإسراء، آية: ٨٣)، قال الزمخشري تفسير الكشاف: ٣/٦٦٢).

«كأنه مستغن عنه، مستبد بنفسه، ونأى بجانبه: تأكيدٌ للإعراض؛ لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه، والنأي بالجانب: أن يلوي عنه عطفه، ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار؛ لأن ذلك عادة المستكبرين؛ إذن من الإيماءات المصاحبة للإعراض بالوجه وعبوس الجبهة النأي بالجنب».

- الإعراض بالوجه وإدارة الظهر: الاستدارة بالظهر تومئ إلى الهرب أو الخوف، ونجد هذه الإيماءة في قوله تعالى: «وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ» (القصص: ٣١)، إذن موسى عليه السلام كان مقبلًا على السحرة وسحرهم بوجهه، فحينما خاف أدار وجهه، وأعطاهم ظهره؛ ولذلك أمره الله سبحانه بأن يرجع إلى هيئته الأولى، ولا يخاف لأن هذا كان ظاهرًا للمتخصص ولغيره.

> لطم الوجه براحة اليد إيماءة قد تدل على الخجل والحياء أو التعجب والاستغراب، وقد استخدمتها امرأة إبراهيم عليه السلام عندما بشرت بالولد وهي عجوز عقيم.

١٠- الابتسام:

الابتسامات التي ترتسم على وجوه الذين نقابلهم أو نراهم، ولكنها ليست متساوية في دلالاتها، فقد تدل على الفرحة والسرور، أو الخجل والحياء، أو الغضب والانفعال، أو الغموض.

قال تعالى عن موقف سليمان عليه السلام لما سمع قول النملة-: «فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا» (سورة النمل، آية: ١٩). «في هذه الآية جمع بين إيماءتين اثنتين هما التبسم والضحك. أنه تبسم تبسمًا شرع في الضحك وآخذًا فيه، يعني: أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك»، فكانت الضحكة لشيئين يراها الباحث، وهما:

- «إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته، أو طلبًا لها، ورحمة جنوده وشفقتهم.
- سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدًا، وإن إدراكه بسمعه ما همس به بعض النمل، ومن إحاطته بمعناه؛ ولذلك اشتمل دعاؤه على طلب المساعدة من الله على شكر ما أنعم به عليه من ذلك، وعلى العون لزيادة العمل الصالح والتقوى».

١١- الدهشة السلبية:

قال تعالى: «فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ

لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» (يوسف: ٣١). لقد أحبت زليخة امرأة العزيز يوسف عليه السلام وانتشر خبر ذلك بين النساء، فأرادت أن تبين لهن بأنها معذورة في حبها؛ لأن جمال يوسف لا يقاوم، فدعتهن وأعطتهن سكاكين، وطلبت من يوسف عليه السلام أن يخرج عليهن، فلما رأينه أبهرهن جماله الرائع، وحسنه الفائق فقطعن أيديهن. (الزمخشري يراجع الكشاف: ٤٤٥/٣).

«أعتدت لهن نمارق يتكئن عليها والسكاكين في أيديهن، وقصدت بتلك الهيئة أن يدهشن عند رؤيته، ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها». (تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٩٤/٢).

«وجعلن يقطعن أيديهن دهشا برؤيته، وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين، والمراد أنهن حززن أيديهن بها». (القرطبي ١٦٤/٥، وابن كثير في تفسيره: ٤٩٤/٢).

> الجري نحو الباب إيماءة توحي باللهفة والشوق لمعرفة القادم، وإن عرف فهي توحي بحبه والرغبة في لقائه، أو في حب ما يجلبه.

١٢- إغلاق الباب:

غلق الباب يحمل عدة إشارات، فقد يغلق بقوة في حال الغضب والانفعال، وقد يغلق برفق في حال تسلل حتى لا يشعر به أحد؛ لأنه سارق، أو لأنه خائف إن كان ابنًا أو ما كان في حكمه، أو لأنه خائف من الإزعاج إن كان ضيفًا أو نحوه، أو حرصًا على راحة النائمين إن كان أبًا أو أمًا أو نحوهما، وقد تكون هناك تفسيرات أخرى لم أهتد إليها. وغلق الباب لذاته كفعل إيماءة قد تعني الرغبة في الاحتجاب عن العالم الخارجي، أو الرغبة في التستر والتخفي؛ أو حب الخلوة والانعزال، أو التفكر والتدبر، أو حب الهدوء والسكون، أو الشعور بالأمان والاطمئنان.

وفي قصة يوسف قال تعالى: «وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ» (يوسف: ٢٣). و«غلّقت» بالتشديد للمبالغة في إغلاق الأبواب واحكامها، أي: أحكمت إغلاقها لتأمن على نفسها من الداخلين؛ لأن من يفعل الشيء القبيح يعلم قبح ما يفعل؛ ولذلك يحاول أن لا يراه أحد، وأيضا تريد أن تشعره بالأمان بأن ما سيفعله لا يطلع عليه أحد من أهل القصر، أو أنها تريد إخافته ومحاصرته ليعلم بأن لا خيار له إلا فعل ما تريد، أو أنها تريد أن تهيئ لنفسها بيئة مناسبة للإغواء والجذب، وتوفر له مناخا ملائمًا للانجذاب والتأثر. وكلها إيماءات يعوزها المقام، ويقتضيها معنى «غلقت» ثم همت به بدون أن تتلفظ، ثم هم يوسف بها همّ دفع واتقاء.

١٣- الجري نحو الباب:

«إيماءة توحي باللهفة والشوق لمعرفة القادم، وإن عرف فهي توحي بحبه والرغبة في لقائه، أو في حب ما يجلبه، وكذلك يفعل الأطفال وهم ينتظرون أحد محبيهم كآبائهم أو أمهاتهم؛ لأنهم يشعرون معهم بالأمان؛ ولأنهم يوفرون لهم ما يرغبون في من ألعاب ومقتنيات، ولأنهم يأخذونهم إلى حيث يحبون ويرغبون، وغيرها من التفسيرات الممكنة. في قصة يوسف الوضع مختلف قال تعالى: «وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ» (يوسف: ٢٥). يوسف وامرأة العزيز، يوسف يريد الفرار من موقف لا يرغب فيه، وامرأة العزيز تريد أن تمنعه من الخروج لتحقق ما أضمرته وعزمت عليه؛ إذن حملت الآية بالحركة الجسدية من الاستباق للباب معنيين مختلفين لإيماءة واحدة، اختلفتا باختلاف النية والقصد، وحدد ذلك السياق، قال تعالى: «وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ» (يوسف: ٢٥)».

والحمد لله رب العالمين.

رد المحتار عن التفكير في الانتحار

إعداد **المستشار/ أحمد السيد علي**

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه..

أما بعد:

فقد خلق الله الإنسان، واستعمره في الأرض لعبادته، وسخر له ما في الكون لينتفع به، فيحيا حياة طيبة تساعده على تحقيق الغاية التي من أجلها خلق، وفي تلك الفترة القصيرة التى يحياها الإنسان في الحياة الدنيا، وفي تعامله مع بني جنسه، يبتلى بالخير، والشر، فمن الناس من يصبر، فيوفى أجره بغير حساب، ومنهم من يجزع، ولا يلجأ إلى ربه لينجيه مما هو فيه، فيتملكه الشيطان، وييأسه من روح الله، ويرى في إنهاء حياته حلا لجميع مشكلاته، ولا يدري المسكين أن مشكلاته قد بدأت للتو، فإنه وإن تخلص من حياته الفانية، وفارقت روحه جسده، فلم يتخلص من حياته الباقية، وما فيها من أهوال نتيجة ما جنته يداه.

ولعظم هذه الكبيرة، وإقدام العديد من البشر على مقارفتها، أحببت أن أبين بعض ما جاء عنها، لعل الله أن يعصم بها من قرأها، وأن يجعل ما فيها من الآيات، والأحاديث حرزا له من التفكير فيها، وسميته (رد المحتار عن التفكير فى الانتحار).

الوقفة الأولى: سبب الكتابة عن كبيرة الانتحار:

جاءت حوادث الانتحار في الآونة الأخيرة، لتدق ناقوس الخطر في البلاد، للبحث عن أسباب هذه الظاهرة التى طفت على سطح الأحداث، ومحاولة إيجاد الحلول الناجعة لها، ولا سيما وأنها باتت مقلقة للعالم أجمع، وللوطن العربى، ولمصرنا الحبيبة، مما حدا بمنظمة الصحة العالمية من التحذير منها، فقد نشرت منظمة الصحة العالمية، تقريرا عن ظاهرة الانتحار حول العالم، وجاء في التقرير أن شخصا واحدا ينتحر كل ٤٠ ثانية، أي أكثر من الذين قتلوا في الحروب وعمليات القتل أو سرطان الثدي. وتصدرت مصر قائمة البلدان العربية من حيث أعداد المنتحرين لعام ٢٠١٦، حيث شهدت ٣٧٩٩ حالة انتحار.

هذا التقرير الذي نشرته منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة، دقت المنظمة ناقوس الخطر بشأن معدل الانتحار العالمي، فقد وصل إلى ٨٠٠ ألف شخص سنويا، أي أكثر من الذين قتلوا في الحروب وعمليات القتل أو سرطان الثدي.

كما أظهر التقرير أن أكثر من نصف المنتحرين في العالم أجمع هم أقل من ٤٥ سنة، وفي فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٩ عاما.

الوقفة الثانية: تعريف الانتحار، وحكمه، وحكم فاعله:

أولا: تعرف الانتحار:

الانتحار في الإسلام هو: قتل الشخص نفسه عمدا، أو هو الاعتداء على النفس بإهلاكها.

ثانيا: حكم الانتحار:

يعد الانتحار جريمة ومعصية، يأثم فاعله، وهو حرام إجماعا، و من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى، لأنه قتل نفس حرمها الله عز وجل، ويستدل على تحريمه بأدلة من المنقول والمعقول:

الأدلة من المنقول:

أولا: من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا) (النساء: ٢٩ - ٣٠).

٢- قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ) (الإسراء: ٣٣)

وجه الدلالة: النهي عن قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق، يشمل قتل الإنسان لنفسه.

ثانيا: من السنة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (مَن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سمًا فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) (متفق عليه).

وجه الدلالة: أن المنتحر يجازى بقتل نفسه في نار جهنم بنفس السبب، خالدا مخلدا فيها.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم، قال: (الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار) (رواه البخاري) وفي رواية لأحمد (الذي يطعن نفسه: إنما يطعنها في النار، والذي يتقحم فيها يتقحم في النار، والذي يخنق نفسه يخنقها في النار.) (صححها الألباني).

وجه الدلالة: أن المنتحر يقتل نفسه بنفس ما قتل به في الدنيا، للتغليظ عليه.

٣- عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة) (رواه البخاري، ومسلم).

وجه الدلالة: أن تعذيب المنتحر بما انتحر به يوم القيامة، يدل على تحريم الانتحار، وأن الجزاء من جنس العمل.

٤- عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا، فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة) (متفق عليه).

وجه الدلالة: قوله تعالى عن

> ١ - قال الله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا) (النساء: ٢٩ - ٣٠).

المنتحر (حرمت عليه الجنة) دليل على ارتكابه لكبيرة من الكبائر، وفي الحديث دلالة على أن الانتحار محرم في جميع الشرائع، وعلى جميع الأمم.

الأدلة من المعقول:

لأن الإسلام يأمر بالحفاظ على النفس البشرية، بل جعلها من الضروريات الخمس التي يجب رعايتها، وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

ثالثًا: هل المنتحر مخلد في النار؟

أوهم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة الأول: (في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا) اللبس عند البعض، فظن أن المنتحر كافر، لخلوده في نار جهنم أبدا، وقد رد أهل العلم على هذه الشبهة، وبينوا بقاءه على الإسلام، مالم يستحل قتل نفسه.

والجواب كما يلي:

أولا: منهج أهل السنّة والجماعة في فهم النصوص الشرعية أنهم يجمعونها في سياق واحد، فما كان منها مطلقًا له ما يقيده أخذوا بالمقيد، وما كان فيها من عموم له ما يخصصه قدموا التخصيص على العموم، وكذا يقدمون الناسخ على المنسوخ، ويأخذون بالصحيح من الأحاديث دون الضعيف، والأهم في هذا الباب: أنهم يردون المتشابه من النصوص إلى المحكم منها.

ثانيا: أنه لا يكفر عند أهل السنّة كفراً مخرجاً من الإسلام ويستحق الخلود في جهنم إلا من جاء بما ينقض إسلامه باعتقاد أو قول أو فعل، وليس من ذلك فعله لمعاص وذنوب يأثم بفعلها، أو يترتب عليه بفعلها حد أو كفارة، ولا ينقض بفعلها إسلامه وتوحيده، إلا أن يستحل فعلها فيكفر بذلك حتى لو يفعلها.

وبالتأمل في النصوص المحكمة تجد أن قتل المسلم لنفسه لا يُخرجه عن كونه آثماً بفعله، ويستحق الوعيد بالنار، وفعله هذا ليس من نواقض الإسلام عند أحد من علماء الإسلام من أهل السنّة، ولذا فلن يخلد في النار لمجرد فعله هذا كخلود فرعون وأبي لهب، ومما يدل على ذلك أمور، منها:

١. النصوص المحكمة في أن المسلم إذا لقي الله تعالى بكل ذنب خلا الشرك الأكبر فإن ذنوبه قابلة للعفو عنها ومحو أثرها بفضل الله تعالى ورحمته، مهما بلغت هذه الذنوب كثرة وعظمة، وقد نصّ الله تعالى على ذلك بقوله (إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء/ ٤٨، ولا شك أن قتل الإنسان لنفسه داخل فيما يمكن أن يغفره الله تعالى، وليس هو من الشرك عند أحد من أئمة الإسلام.

وفي " الموسوعة الفقهية " (٦ / ٢٩١، ٢٩٢): " لم يقل بكفر المنتحر أحد من علماء المذاهب الأربعة؛ لأن الكفر هو الإنكار والخروج عن دين الإسلام، وصاحب الكبيرة- غير الشرك- لا يخرج عن الإسلام عند أهل السنة والجماعة، وقد صحت الروايات أن العصاة من أهل التوحيد يعذبون ثم يخرجون ". انتهى.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

العقوق

بين إهمال الآباء وتفريط الأبناء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد: فإن مسؤولية الآباء تجاه الأبناء حدَّدها المُعلِّم الأول والمُرَبِّي الرحيم سيد البشر؛ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على ضوء الحديث النبوي الشريف الذي بُنِيَتْ عليه الدراسات التربوية والفقهية المتعلقة بهذا الموضوع وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: « ما من مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدانه، ويُنَصِّرانه، كما تُنْتِجُونَ البَهِيمَةَ، هلْ تَجِدُونَ فيها من جَدْعاءَ، حتَّى تَكُونُوا أنتُمْ تَجْدَعُونَها؟ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ: أفَرَأَيْتَ مَن يَمُوتُ وهو صَغِيرٌ؟ قالَ: اللَّه أعْلَمُ بما كانُوا عامِلِينَ. (صحيح البخاري ٦٥٩٩).

إعداد **جمال عبد الرحمن**

قال الخطابي في معالم السنن (٤/٥٢٣-٣٢٧): «معناه: أن كل مولود من البشر إنما يُولد في مبدأ الخلقة وأصل الجبلَّة على الفطرة السليمة والطبع المتهيء لقبول الدين، فلو تُرِكَ عليها وخُلي وسومها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها؛ لأن هذا الدين موجودٌ حُسْنه في العقل، يسره في النفوس وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره ويؤثر عليه لآفة من آفات النشوء والتقليد، فلو سلم المولود من تلك الآفات لم يعتقد غيره ولم يختر عليه ما سواه، ثم يمثل بأولاد اليهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم فيزولون بذلك عن الفطرة السليمة وعن المحجة المستقيمة.

أولاً: الذي يظهر من كلام رسولنا صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف أن الأبوين لهما الأثر الكبير في توجه طفلهما سلبًا وإيجابًا؛ حيث يقضي الطفل مع أبويه أطول فترة ممكنة، يُبنى فيها عقله، وتتحدد من خلالها سلوكياته وتوجهاته. كما يظهر أيضًا أن أسرع وأكثر من يؤثر في الطفل الوالدان، وليس غيرهما، وهذا يدل دلالة قوية على أن مسؤولية الوالدين عن الأولاد كبيرة ومباشرة، وهما المسئولان أولاً وآخرًا

أكثر من أيّ أحد عن صلاح أولادهما وفسادهم، فليس بين الولد ووالديه أية موانع لتلقي كل ما يريدانه.

ثانيا: ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم يتضح أن كلمة «يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يُمجِّسانه» هي العقيدة؛ بمعنى أن الوالدين مسئولان عن عقيدة الطفل وتديُّنه، فهل سيربِّيان النشء للجنة أم للنار؟ فعن أنس بن مالك، أن الرُّبَيِّع بنت النَّضر أتت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلَّم وكان ابنُها حارثة بن سُراقة أُصيب يوم بدر، أصابه سهمُ غَرْبٍ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أخبرني عن حارثة لئن كان أصاب خيرًا احتسبتُ وصبرتُ، وإن لم يُصب الخيرَ اجتهدتُ في الدعاء، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «يا أمَّ حارثة إنها جِنانٌ في جنَّة، وإنَّ ابنَك أصاب الفردوسَ الأعلى» (سنن الترمذي ح٣١٧٤، وصححه الألباني).

فهي ربَّت وتعبت في التربية، وتريد أن تطمئن على مستقبل ابنها بعد هذا التعب، فكانت البُشرى، ومَن جدَّ وجد، فوجدت ثمرة العقيدة الصحيحة والتربية السليمة: «إنَّ ابنَك أصاب الفردوس الأعلى».

الوالدان قدوة للأبناء:

كما يُرى من الحديث أيضًا أن الوالدين إذا كانا قدوة سلوكية سيئة للأولاد؛ فإن هذا له من التأثير السيء السلبي في التنشئة الاجتماعية للأولاد ما الله به عليم؛ حيث يتعلم الأبناء ويقلدون ذلك السلوك الرديء.

> إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقًا فللابن على أبيه حق.

وفي الحديث أيضًا أنّ الولد يتابع أباه حذو القذة بالقذة في كل السلوكيات، إلا ما ندر، وقلما يفارق الفرع أصله في الصغر والكبر.

كثرة ما يواجه الأبناء من الفتن:

وأيضًا فإنّ ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لأنواع متعددة من الانحرافات عن الدين القويم والفطرة السليمة فيه بيان لكثرة ما يواجهه الأبناء من الفتن، إذا فاتته فتنة اصطدم بأخرى، فكيف إذا كانت الفتن بالحجم الذي يتعرض له أهل هذا الزمان، وكان الأبوان متأثرين بمثل هذه الفتن الطاغية؟!

وهذا مما يستوجب مضاعفة الجهود لتنشئة الأولاد على مبادئ دينهم وثوابته ولوازمه، ثم لتحصينهم ضد تلكم التيارات الفكرية الغازية، ثم لإعدادهم من بعد ذلك ليقوموا بدورهم الرائد في تربية الجيل التالي، وفي مجابهة القوى المعادية بالمثل، وبما تستوجبه رسالة المسلم نحو نفسه وولده وإخوانه والناس أجمعين.

حين يهمل الأبوان:

وليس يقوم لهذا الواجب التربوي الجليل على الوجه المرجو غير الأبوين المسلمين الغيورين. قال العلامة ابن القيم: «قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقًا فللابن على أبيه حق». فكما قال تعالى: «وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا» (العنكبوت: ٨). وقال تعالى: «قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ» (التحريم: ٦). قال علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-: علِّموهم وأدِّبوهم، وقال تعالى: «وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ» (النساء: ٣٦).

وقال تعالى «وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ» (النساء ٣٦)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعدلوا بين أولادكم»؛ فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصيَّة الأولاد بآبائهم قال الله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ» (الإسراء ٣١)، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده

على العقوق؛ فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا، وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا». (تحفة المودود بأحكام المولود ص: ٢٢٩).

وحين يهمل الأبوان أبناءهما وخاصة في سن الصغر ظنًا منهما أن الطفل صغير وليس من الضروري مؤاخذته ولا متابعته ولا حتى عتابه، فإن الطفل حين ذلك يتربى على ما طبع عليه، من حب اللعب، والعبث بكل الأشياء، وربما نطق بألفاظ خارجة يسمعها من غيره فيرددها، فإذا لم يكن الأبوان حريصين على التصحيح والتهذيب، والتربية والتأديب، نشأ الطفل على أنه يريد أن يفعل ما يشاء ويقضي ماهو قاض. فإذا كبر بدأت شكوى الوالدين منه، وهيهات هيهات، لتدارك ما فات.

شبهات الأبناء في العقوق:

كثير من الشباب الذي أخطأ أبواه وقصرا في طريقة تربيته؛ يمارس العقوق معهما، فإذا عاتبه الأبوان احتج عليهما بأنهما هما اللذان عقاه ابتداء، ويستدل بالقصة التي جاءت عن عمر بن الخطاب.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه عليه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب أي «القرآن». قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلا أي: «خنفساء» ولم يعلمني من الكتاب حرفا واحدا. فالتفت عمر رضي الله عنه إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

> وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا.

هذه القصة التي لم يجد لها أهل العلم سندا يثبتون به صحتها من عدمه، وهناك حديث ضعيف جدًا عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويعلمه الكتاب، ويزوجه إن أدرك» (ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين». ٣١٧/٦، والهندي في «كنز العمال» برقم ٤٥١٩، والقرطبي في تفسيره - ١٩٥/١٨).

وإن كان المعنى مقبولاً؛ حيث إن الذي يربي أبناءه على الأخلاق الإسلامية النبيلة السامية، فيتخلقون بأخلاق القرآن، ويتخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم قائدا ومعلمًا وقدوة، وكذلك يتخذون الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والسلف أئمة اقتداء لهم في السلوك والتصرف، كل ذلك مما لا شك فيه أنه ينتج جيلاً بارًا بأبويه؛ لأن الأدلة الكثيرة في الكتاب والسنة تؤكد على هذا المعنى. إلا أنه لا يعني أن ذلك مبرر للابن وقد بلغ سن التكليف ليمارس العقوق على أبويه تأديبا لهما وتأنيبا، وإلا فليخرسا عن مراجعته، وليكفا عن محاسبته، وليندما على معاتبته.

ومع افتراض صحة القصة فإن معاتبة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لوالد الشاب لا تعني موافقته على عقوق الولد لأبيه، ذلك لا يعني أنه وافقه على عقوقه، وأجاز له فعله، والتمس له العذر في سوء أخلاقه مع أبيه، خاصة والعقوق من أكبر الكبائر.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ- وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ- أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ». صحيح البخاري ح٢٦٥٤.

صهدى الله الآباء لحسن التربية، والأبناء لحسن البر والمعاملة. والله ولي التوفيق.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة

(٢٣٥)

قصة نزول جبريل ببراءة مارية أم إبراهيم

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد **علي حشيش**

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١) اشتهار هذه القصة لوجودها في بعض الكتب المسندة، وهي الكتب التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واغتر بذلك القصاص والوعاظ، ومن صنفوا في السيرة والتاريخ.

٢) في هذه القصة الواهية كما سنبين في «المتن» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله عز وجل قد برأ مارية وقريبها مما وقع في نفسي».

٣) وفي القصة بيان غريب بسبب ما وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم من قريبها؛ حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم إبراهيم القبطية أم ولده وهي حامل فوجد قريبها عندها؛ فوقع في نفسه من ذلك شيء.

٤) وفي القصة أشياء غريبة لا تليق بمقام خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل وأخبره

> من الثابت أن المبرأة من الله عز وجل والتي نزل الوحي ببراءتها هي الصدّيقة بنت الصديق رضي الله عنها كما في القرآن والسنة الصحيحة المطهرة.

أن الله قد برّأها وقريبها، وبشّره أن في بطنها غلاماً منه، وأنه أشبه الخلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يسميه إبراهيم، وأن جبريل كنّاه صلى الله عليه وسلم «أبا إبراهيم»، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كره أن يحول كنيته.

٥) من الثابت أن المبرأة من الله عز وجل والتي نزل الوحي ببراءتها هي الصدّيقة بنت الصديق رضي الله عنها كما في القرآن والسنة الصحيحة المطهرة، ولقد بين ذلك الإمام البخاري في «صحيحه» ح (٤٧٥٠) في كتاب «التفسير» سورة (النور: الآية ١٢) وكذلك الإمام مسلم في «صحيحه» ح (٢٧٧٠) في أكثر من ثمانين سطراً حيث قال البخاري:

«حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا.... بعد أن صبرت واستعانت بالله حيث قالت: (والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ... حتى نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم فكان أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك».

٦) أما قصة نزول جبريل ببراءة مارية أم إبراهيم، فهي قصة واهية سنكشف عارها ونبين عوارها من كذب مختلق على جبريل عليه السلام.

حيث كان لوجود هذه القصة في كتب السنة الأصلية: الأثر السيئ في انتشار هذه القصة في كتب السيرة والتاريخ، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

٧) فقد أوردها أبو الفرج الحلبي نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد المتوفى سنة (١٠٤٤هـ) في «السيرة الحلبية» (٤٣٨/٣) ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

٨) وأوردها محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى (٩٤٢هـ) في كتابه «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٢١٩/١١) ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

٩) وأوردها أبو عبد الله جمال الدين أبو حديدة المتوفى (٧٨٣هـ) في كتابه «المصباح المضيء» في كتاب النبي الأمي، ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي» (١١٤/٢).

١٠) وأوردها الإمام السيوطي المتوفى (٩١١هـ) في كتابه «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (١٠١/١) ط. دار إحياء الكتب العربية.

١١) وأورده تقي الدين المقريزي أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المتوفى (٨٤٢هـ) في كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (٥٧/١).

١٢) وأورده أيضاً الإمام السيوطي في «الجامع الكبير» (٣٢٥/٢١) ونقله عنه المتقي الهندي المتوفى (٩٧٥هـ)؛ فأورده في كتابه «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» (٤٥٤/١٢).

وما ذكرناه من كتب فهو على سبيل المثال لا الحصر؛ لنستدل به على مدى انتشار هذه القصة في كتب السير والتاريخ.

ثانيا: «المتن»:

روي عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم إبراهيم مارية القبطية أم ولده وهي

حامل منه بإبراهيم، فوجد عندها نسيباً لها، كان قدم معها من مصر، فأسلم وحسن إسلامه وكان يدخل على أم إبراهيم مارية القبطية وانه لمكانه من أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَجُبَ نفسه، فقطع ما بين رجليه حتى لم يبق لنفسه شيئاً قليلاً ولا كثيراً، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على أم إبراهيم فوجد قريبها عندها فوقع في نفسه من ذلك شيء كما يقع في أنفس الناس، فرجع متغير اللون فلقي عمر فأخبره بما وقع في نفسه من قريب أم إبراهيم، فأخذ السيف وأقبل يسعى حتى دخل على مارية فوجد قريبها ذلك عندها فأهوى إليه بالسيف ليقتله فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه، فلما رأى ذلك عمر رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك يا عمر، إن جبريل صلى الله عليه وسلم أتاني فأخبرني أن الله عز وجل قد برأها وقريبها مما وقع في نفسي وبشرني أن في بطنها غلاماً مني، وأنه أشبه الخلق بي، وأمرني أن أسميه إبراهيم وكناني بأبي إبراهيم، ولولا أني أكره أن أحول كنيتي التي عرفت بها لتكنيت بأبي إبراهيم، كما كناني جبريل عليه السلام». اهـ.

ثالثاً: التخريج:

١) أخرجه الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) في «المعجم الكبير» (١١٠/١٤) ح (١٤٧٢٩).

قال: حدثنا خير بن عرفة التجيبي، قال: حدثنا هانئ بن المتوكل الإسكندراني. قال: حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شماسة المهري، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم إبراهيم القبطية أم ولده... القصة.

٢) وأخرجه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (١٨٧هـ-٢٥٧هـ) المعروف بابن عبد الحكم في كتابه «فتوح مصر وأخبارها» ص (١٢١) قال: حدثنا هانئ بن المتوكل، قال: حدثنا عبد الله بن لهيعة به.

رابعاً: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة علته عبد الله بن لهيعة.

١) قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢/٢): «قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه؛ فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودًا، وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيرًا فرجعت إلى الاعتبار فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفاء على أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات، فألزق تلك الموضوعات بهم». اهـ.

قلت: ما ذكره الإمام الحافظ ابن حبان من أدق ما قيل في ابن لهيعة؛ حيث بناه ابن حبان على تجربة قام فيها بالبحث والاختبار لأخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه.

وهذا يتبين من قول الإمام الحافظ ابن حبان «قد سبرت أخبار ابن لهيعة»، وهذا المصطلح يتبين معناه من قول ابن منظور في «لسان

العرب» (٣٤٠/٤): «السبر: التجربة، وسبر الشيء سبرًا خبره، والسبر استخراج كنه الأمر» اهـ.

قلت: وبهذا يكون الإمام ابن حبان قد قام ببحث دقيق لأخبار ابن لهيعة في تجربة عملية حتى استخرج كنه أمر ابن لهيعة، باعتبار حديثه بحديث غيره فقال:

«فرجعت إلى الاعتبار فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفاء على أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فألزق تلك الموضوعات بهم» اهـ.

قلت: وهذا الحكم لا يتأتى إلا بدراسة العديد من الأحاديث، ولذلك قال الإمام الحافظ ابن حبان: «قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه».

قاعدة جليلة:

تبين دقيق فقه الإمام ابن حبان في الجرح والتعديل. قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٨/٢):

أ) «إذا كان الراوي قليل الحديث لم يتهيأ اعتبار حديثه بحديث غيره؛ لقلته فحكم له بالعدالة أو الجرح».

ب) ولا يتهيأ إطلاق العدالة على من ليس نعرفه بها يقينًا، فيقبل ما انفرد به فعسى نحل الحرام، ونحرم الحلال، برواية من ليس بعدل، أو نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل اعتمادًا منا على رواية من ليس بعدل عندنا.

ج) ولا يتهيأ إطلاق الجرح على من ليس يستحقه بإحدى الأسباب التي ذكرناها من أنواع الجرح.

د) «وعائذ بالله من هذين الخصلتين: أن نجرح العدل من غير علم أو نعدل المجروح من غير يقين، ونسأل الله الستر». انتهى كلام الإمام ابن حبان.

> ولا يتهيأ إطلاق العدالة على من ليس نعرفه بها يقينا، فيقبل ما انفرد به فعسى نحل الحرام، ونحرم الحلال، برواية من ليس بعدل، أو نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل اعتمادًا منا على رواية من ليس بعدل عندنا.

قلت: هذه قاعدة تكتب بماء الذهب أي وربي.

«ولقد بين الإمام ابن حبان أنه كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه ثم احترقت كتبه قبل موته بأربع سنين، ومن سمع منه بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء» ا.هـ.

٢) وأورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في «الطبقة الخامسة» رقم (١٢) وقد عنعن ولم يصرح بالسماع كما هو مبين من التخريج فلا يقبل حديثه.

قلت: ويدور هذا الخبر الذي جاءت به القصة على ابن لهيعة الذي دلسه عن أقوام ضعفاء على أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فألزق هذا الخبر الموضوع بهم كما لزقه معنعنًا بالثقة يزيد بن أبي حبيب المصري، والذي أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٧٥٦٩/٢٩٥/٢٠)، وقال روى عن عبد الرحمن بن شماسة المهري وآخرين، وروى عنه عبد الله بن لهيعة وآخرون. اهـ.

قلت: كما في سند هذا الخبر.

وفوق هذه العلل أن الذي روى عن ابن لهيعة هذا الخبر هو هانئ بن المتوكل الإسكندراني ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٩١٩٨/٢١٩/٤)، ونقل أن الحافظ ابن حبان قال فيه: «كان تدخل عليه المناكير وكثرت فلا يجوز الاحتجاج به بحال». اهـ.

قلت: وبهذا تصبح هذه القصة واهية ومفتراة على جبريل عليه السلام.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحلقة (٦٣)

أدلة السنة على: إثبات (الكلام) و(النداء) على حقيقتهما لله تعالى .. على الوجه اللائق به سبحانه، ودحض ما اعتقده الأشاعرة حيالهما، بقصرهما على (الكلام النفسي) وجعلهما في المخلوقات

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإنه وعلى أثر ما تيسر ذكره من أدلة القرآن لإثبات صفة (الكلام)، ودحض ما اعتقده الأشاعرة حيال هذه الصفة بقصرهم إياها على (الكلام النفسي).. نذكر من أدلة السنة على إثبات حقيقتها ودحض ما اعتقدوه:

أ: الأحاديث المصرحة بإسماع الله بعض ملائكته نداءه وكلامه .. الذي لم يزل ولا يزال بهما موصوفا:

١- حديث أبي هريرة وهو في البخاري (٧٤٨٥) وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: (إن الله قد أحب فلانا فأحببه)، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: (إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه)، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض».

٢- وحديثه (٧٤٨٦) الذي فيه قوله عليه السلام: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: (كيف تركتم عبادي؟)، فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون».

٣- وحديث أبي ذر (٧٤٨٧) وفيه قوله عليه السلام: «أتاني جبريل فبشرني أنه (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة). قلت: وإن سرق وإن زنى؟: قال: (وإن سرق وإن زنى)».

وقد أدرج البخاري هذه الثلاثة تحت باب «كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، وقال معمر: «وإنك لتلقى القرآن» (النمل/ ٦)، أي: يُلقى إليك». وإنما ناسب الأخير منها الترجمة: «من جهة أن جبريل إنما يبشر النبي بأمر يتلقاه عن ربه، فكأن الله سبحانه قال له: (بشر محمداً بأن من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)، فبشره بذلك» ا.

هـ من كلام ابن حجر في الفتح ١٣ / ٤٧١.

٤- وحديث أبي هريرة الذي فيه قوله عليه السلام: «إن لله ملائكة سيَّاحين في الأرض، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا إلى بغيتكم، فيخرجون حتى يحفون بهم إلى السماء الدنيا، قال: فيقول الله: (كيف تركتم عبادي؟).. الحديث». وقد أخرجاه في الصحيحين من طرق مختلفة.

ب: الأحاديث الدالة على نداء الله ومخاطبته وكلامه لأنبيائه في الدنيا والآخرة:

٥-وقوله عليه السلام من حديث أبي سعيد: «يجيء نوح وأمته يوم القيامة، فيقول الله لنوح: (هل بلغت؟)، فيقول: نعم يا رب، فيقول لأمته: (هل بلغكم؟)، فيقولون: (ما جاءنا من بشير ولا نذير) (المائدة/ ١٩)، قال: (من يشهد لك؟)؛ قال: محمد وأمته.. الحديث». وهو في البخاري (٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٧٣٤٩).

٦- وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري (٢٧٩) (٧٤٩٣) من حديث أبي هريرة: «بينما أيوب يغتسل عُرياناً خرَّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه: (يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟)، قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك».

٧- وقوله عليه السلام فيما رواه البخاري (٣٤٠٩) (٧٥١٥) ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة: (احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة؟، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه، تلومني على أمر قد قدر عليَّ قبل أن أخلق؟!، فحج آدم موسى).. وفيه ما سبق ذكره من أن الله كتب وقدر كل شيء.

٨- وحديث الشفاعة وهو في صحيح البخاري (٦٥٦٥) (٧٥١٠) وغيره، وفيه عن أنس على لسان خليل الله إبراهيم عليه السلام: «ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليماً، فيأتون موسى فيقولون: (أنت الذي كلمك الله)، فيقول لهم: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا عيسى رسول الله وكلمته وروحه».. إلى أن قال:

«فيأتونني فأنطلق معهم، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول لي: (يا محمد، ارفع رأسك، سل تعط واشفع تشفع)، فأحمد ربي بمحامد علمنيها وأحد لهم حداً فأدخلهم الجنة» قالها ثلاث مرات، قال: «حتى أرجع، فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من وجب عليه الخلود أو حبسه القرآن» أي: من أخبر القرآن بأنه يخلد في النار، وفي رواية:

«فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: (انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار)»، وفي أخرى: «فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا

> القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً.

إله إلا الله، فيقول: (وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله)».

ووجه الاستدلال فيما سبق: التصريح بمخاطبة الله لنوح وأيوب عليهما السلام.. و«أن موسى عليه السلام قد خُصّ بأن الله جل ثناؤه كلمه تكليماً، وأن لو كان إنما سمعه من مخلوق لم يكن له خاصية، وأن عيسى أوحى تعالى كلمته إلى مريم فصار مخلوقاً بكلمته من غير أب، وأنه ك (آدم) إنما صار مكوناً بكلمة (كن)» كذا أفاده البيهقي في (الأسماء والصفات) ص٢٧١.. كما فيه: أن كلام خاتم الرسل عليه سلام الله كان له تعالى مشافهة، وكلامه تعالى له كان أيضاً مشافهة.

ج: الأحاديث المصرحة بكلام ونداء الله لعباده ولبعض خلقه، ومخاطبتهم إياه في عالم الذر، وفي الدنيا وبعد الموت ويوم القيامة:

٩- حديث ابن عباس وقد أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما وهو في الصحيحة (١٦٢٣)، وفيه قوله عليه السلام: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم عليه السلام، فأخرج من صلبه ذرية ذراها، فنثرهم نثراً بين يديه كالذر، ثم كلمهم فقال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) (الأعراف/ ١٧٢، ١٧٣)».

> **الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، وبما شاء، وكيف شاء، وبحرف وصوت لا يماثل أصوات المخلوقين.**

١٠- وحديثه الذي فيه أن عبداً أصاب ذنباً، فقال: رب أذنبت ذنباً فاغفر لي، فقال ربه: (أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي)، حتى قال في الثالثة: (غفرت لعبدي ثلاثاً، فليعمل ما شاء)، وفي رواية: (اعمل ما شئت فقد غفرت لك)، والحديث في البخاري (٧٥٠٧).

قال ابن بطال فيما نقله عنه صاحب الفتح ١٣/ ٤٧٩: «في هذا الحديث أن المُصرّ على المعصية في مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له مغلباً الحسنة التي جاء بها، وهي: اعتقاده أن له رباً خالقاً يعذبه ويغفر له؛ واستغفاره إياه على ذلك.. يدل عليه قوله: (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) (الأنعام/ ١٦٠)، ولا حسنة أعظم من التوحيد.. ومعناه: الذي يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة، لا من قال: (استغفر الله) بلسانه وقلبه مُصرٌّ على تلك المعصية.. قال النووي: قوله (اعمل ما شئت) معناه: ما دمت تذنب فتتوب غفرتُ لك».

١١- وحديث أبي هريرة بشأن الرجل الذي لم يعمل خيراً قط، وأوصى إذا هو مات أن يحرقوه ويذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، وفيه قوله عليه السلام: فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البرَّ فجمع ما فيه، ثم قال تعالى له: (لِمَ فعلت هذا؟)، وفي رواية: (أي عبدي: ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟)، قال: خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر له.. والحديث في البخاري (٧٥٠٦).

١٢- وحديثه الذي فيه قوله عليه السلام وهو بصحيح مسلم: يُؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: (ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخرتُ لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع، أكنت تظن أنك ملاقيَّ في يومك هذا؟)، فيقول: لا، فيقول له: (اليوم أنساك كما نسيتني).

١٣- وحديث جابر الذي رواه البخاري (٦٥٥٧) وغيره، وفيه قوله عليه السلام: «يقول الله لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: (لو أن لك ما في الأرض من شيء، أكنت تفتدي به؟)؛ فيقول: نعم، فيقول: (أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صُلب آدم: أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي)».

١٤- وحديث عدي بن حاتم

> **الكلام صفة الله قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته فهو لم يزل ولا يزال متكلما إذا شاء.**

وهو في البخاري (٧٥١١). وفيه قوله عليه السلام: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة).

١٥- وحديث ابن عمر وهو في البخاري (٧٥١٤) وفيه قوله عليه السلام: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: (أعملت كذا وكذا؟): فيقول: نعم، ويقول: (عملت كذا وكذا؟): فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: (إني سترتُ عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم)».

١٦- وحديث عبد الله بن مسعود وهو في البخاري (٦٥٧١) (٧٥١١)، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً من النار: رجل يخرج حبواً، فيقول له ربه: (ادخل الجنة)؛ فيقول: رب الجنة ملأى، (فيقول له ثلاث مرات)، فكل ذلك يعيد عليه: الجنة ملأى، فيقول: (إن لك مثل الدنيا عشر مرات)».

١٧- وحديث جابر بن عبد الله -وهو في (خلق أفعال العباد) للبخاري ص ٢٦- وفيه قوله عليه السلام له: «ألا أبشرك عما لقي أبوك؟: إن الله كلم أباك من غير حجاب، فقال له: (عبدي سلني)، فقال: يا رب ردُني إلى الدنيا حتى أقتل فيك، قال: (إني قد قضيتُ عليهم أنهم إليها لا يرجعون)، قال: يا رب فأبلغهم عنا، فأنزل الله: (وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ) (آل عمران/ ١٦٩)».

١٨- وحديث أبي سعيد الخدري وهو في صحيح البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨)، وفيه قوله عليه السلام: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: (يا أهل الجنة)، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: (هل رضيتم؟)؛ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟؛ فيقول: (أنا أعطيكم أفضل من ذلك)؛ قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؛ فيقول: (أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)».

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة في شرحه في باب (كلام الله مع أهل الجنة): «فيه نداء الله تعالى لأهل الجنة، بقرينة: جوابهم بـ (لبيك وسعديك)، والمراجعة بقوله تعالى: (هل رضيتم؟)؛ وقولهم: (وما لنا لا نرضى؟): وقوله: (ألا أعطيكم أفضل؟)؛ وقولهم: (يا ربنا وأي شيء أفضل؟): وقوله: (أحل لكم رضواني)، فإن ذلك كله يدل على أنه سبحانه هو الذي كلمهم، وكلامه قديم أزلي مُيسَّرٌ بلغة العرب، وبالنظر في كيفيته ممنوع، ولا نقول بالحلول في المحدث وهي: الحروف، ولا إنه دلّ عليه وليس بموجود، بل الايمان بأنه منزل، حق.. مُيسر باللغة العربية، صدق» ا.هـ.

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث بمشيئة الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حوار هادئ

الحمد لله وحده، وأصلّي وأسلّم على من لا نبي بعده، صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدُ: فإن قضية التوحيد كانت شغل المرسلين الشاغل، فاستنفدت جُل جهدهم، تحمّل المرسلون في سبيلها فوق طاقة البشر، ونالهم بسببها كلّ أنواع المشقة والتعب من أقوامهم، والآن نصحب المرسلين وهم يدعون إلى التوحيد، ويرفعون رايته؛ فقد وصّى كل رسول أمته بعبادة الله وحده.

إعداد عبده أحمد الأقرع

فكل رسول وقف من قومه موقفًا حاسمًا من أجل التوحيد، حتى جاء خاتمهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فقرع المشركين بالحجة وجادلهم بالبرهان، وساقَ لهم بالبيان وحاجّهم بالقرآن، مما يجعل الإنسان يحس ويسمع عن قرب كأنه يشاهد مجلس حوار هادئ.

استفهامات منكررة وحقائق ثابتة:

قال الله تعالى: « أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ » (الطور: ٣٥-٣٨).

وإليك حوار من لون آخر لا يملك العقل السليم بعده إلا الإذعان لقضية الألوهية: « قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ » (يونس: ٣١)، وهنا يتحير العقل كيف يجيب، ولكن جواب المشركين معروف: « فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ »، وهنا يجيء الغرض من الحوار: « فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ » (يونس: ٣١-٣٢).

ولا يقف حديث القرآن عند آية أو آيتين، بل هناك آيات كثيرة لفتت نظر الإنسان

إلى الإيمان بالله، ونفي أن يكون له شريك في ملكه: «أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ» (النمل:٦٠). وهذه علامة من علامات الإيمان من الأرض، «أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ» (النمل:٦١)، ويحث العقل على التفكير في أحوال النفس الإنسانية خاصة حين ينزل بها الكرب، «أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ» (النمل:٦٢)، وهذه هداية الله لا يمنحها غيره، «أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ» (النمل:٦٣)، ومن برأ النسم وساق الرزق وضمنه للناس أجمعين، «أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ» (النمل:٦٤).

استفهامات متكررة تأخذ على العقل كل طريق وتلاحقه في كل قضية، وهو في كل منها لا يستطيع أن يردها؛ لأنها متفقة مع مقدمات عقلية، وتنتهي إلى نتائج فكرية، وفي كل ذلك لا بد من إذعان العقل لها وتسليمه بها، وإذا لم يذعن لها العقل وإذا لم يهتد بها ففيه لا محالة خلل، وفيه لا شك ضعف؛ وذلك سرّ ما تنتهي به الآيات الكريمة: «بل هم قوم يعدلون»، وختام الثانية: «بل أكثرهم لا يعلمون»، ونهاية الثالثة: «قليلاً ما تذكرون»، ونهاية الرابعة: «تعالى الله عما يشركون»، وكانت النهاية بالنسبة للخامسة: «قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» (النمل:٦٤).

> إن قضية التوحيد كانت شغل المرسلين الشاغل، فاستنفدت جل جهدهم، تحمّل المرسلون في سبيلها فوق طاقة البشر، ونالهم بسببها كل أنواع المشقة والتعب من أقوامهم.

ثم يتوجه الحديث بهذا الاستفهام إلى المشركين، وفيه عتب وتأنيب وساق الأدلة التي تدمغ حجتهم وتبطل دعوتهم: «قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» (الأحقاف: ٤)، وبين ضعف الشركاء والأنداد الذين عُبدوا من دون الله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» (الأعراف: ١٩٤).

وبيّن إنهم لم يفكروا في صلاحية هذه المعبودات التي أشركوها مع الله: «أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ» (الأعراف: ١٩١-١٩٢)، وستكون هذه المعبودات في النار يوم القيامة مع من عبدوهم: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ» (الأنبياء: ٩٨-٩٩).

وقد بيّن رب العزة سبحانه أضرار تعدد الآلهة، فقال تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ» (الأنبياء: ٢٣-٢٣).

وقال سبحانه: «مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (المؤمنون: ٩١-٩٢).

عقيدة التوحيد الصافية

وهكذا عالج القرآن الكريم عقيدة التوحيد الصافية والتنزيه لله عن الشريك والندّ فيسوق الدليل متسقًا مع العقل السليم، فلا تملك النفس الخاشعة-

> **التوحيد هـو إفراد الله سـبحانه بالعبـادة، وهو دين الرسـل الذين أرسـلهم الله به إلى عباده، وهو أصـل الديـن الذي لا يقبل الله من الأولـين والآخرين دينا غيره، وبه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.**

بعد سماعه- إلا الإذعان والتسليم إنه ليس لله شريكا في ملكه يتوجه العباد إليه بالرجاء في جلب النفع ودفع الضر وغير ذلك، مما هو من خصائص الألوهية، فمن اعتقد أنَّ غير الله يستطيع أن ينفع أو يضر فقد أشرك بالله تعالى، ومن أجل ذلك كان الشريك شذوذًا وخبلًا واضطرابًا يعتري النفس حين يخف الإيمان فيها فتخرج عن الطريق المستقيم والسلوك الرشيد ولا تستطيع أن تميز بين حق وباطل، «قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (يونس: ٣٤-٣٥).

فلو أن إنسانًا أهدى إلى إنسان آخر خيرًا، أو يسر له أمرًا، أو صنع معه جميلًا، أو دله على رشاد، أو دفع عنه مكروهًا؛ فإن مقتضى الأدب الجميل ومنطلق العقل السليم وطبيعة الفهم المستنير تقضي بإخلاص الإنسان لمن فعل معه ذلك كله إخلاصًا دائمًا، فكيف بربي: «ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ» (الشعراء: ٧٨-٨٢)، فدلت هذه الآيات على أن الله هو وحده الإله الحق المتفرد بالعبادة، «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ» (الحج: ٦٢)، «قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ» (الزمر: ٣٨).

فالتوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده، وهو أصلُ الدين الذي لا يقبلُ الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، كما قال الله تعالى: «وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ» (الزخرف: ٤٥)، فدين الإسلام مبنيٌّ على أصلين: أن يُعبد الله وحده ولا يُشرك به شيء، وعلى أن يُعبد الله بما شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذان هما حقيقة قولنا: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله». والتوحيد: أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما تخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». (صحيح الجامع: ٦٤٧٩).

أعظم الواجبات على العبد:

والتوحيد أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره، ولا ينتفع بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أهلُ التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، ولو كان المشرك مُحبًا له ومعظمًا إياه لم تنقذه شفاعته من النار، وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به صلى الله عليه وسلم، ولهذا فإن أبا طالب وغيره ممن يحبونه ولم يقروا بالتوحيد الذي جاء به صلوات الله وسلامه عليه لم يكن ليخرج من النار بشفاعته ولا بغيرها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكُلِّ نَبيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبيٍّ دَعْوَتَهُ، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتي شَفاعَةً لأُمَّتي يَومَ القِيامَةِ، فَهي نائِلَةٌ إنْ شاءَ اللَّهُ مَن ماتَ مِن أُمَّتي لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا» (صحيح مسلم:

.(١٨٩/١).

فالهداية للتوحيد واجتناب الشرك فضلٌ من الله يؤتيه من يشاء يستوجب الشكر، كما قال الله تعالى حكاية عن نبيه يوسف عليه السلام: «مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» (يوسف: ٣٨)، قال ابن عيينة رحمه الله: «ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم: لا إله إلا الله»، فالتوحيد الخالص والبراءة من الشرك لبابُ الرسالات السماوية كلها، وأساس الملة، قال الله تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة: ٣١)، وعليه فليس هناك معبود مع الله يستحق أن يُدعى، فهو سبحانه وحده المستحق للدعاء والعبادة، وهو وحده سبحانه دافع الضر ومالك النفع، المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، له الأمر كله، وله الخلق كله، وإليه يرجع الأمر كله، بيده وحده ملكوت كل شيء، قضاؤه نافذ، وقدره كائن، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا رادَّ لما قضى، هو سبحانه المؤمَّل وحده للكشف كُل بلاء، ودفع كل بأساء، فلا الملائكة ولا الأنبياء، ولا الصالحون الأولياء- فضلًا عن غيرهم من الأدعياء- يملكون لأحد ضرًا ولا نفعًا، «وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا» (الفرقان: ٣)، وقال الله تعالى: «قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ» (الزمر: ٣٨).

وإذا كان خاتم النبيين وسيد ولد آدم يوم الدين عليه الصلاة والسلام يخاطبه الله سبحانه بيانًا لأمته بقوله: «قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (الأعراف: ١٨٨)، وينهاه سبحانه بيانًا لأمته بقوله: «وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ» (يونس: ١٠٦-١٠٧)، فعلق قلبك بالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه يدبر أمر عباده وحده فلا خالق ولا رازق ولا مُعطي ولا مانع ولا مميت ولا محيي ولا معز ولا مذل إلا هو سبحانه رب الأرباب فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادثٌ إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض إلا وقد أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته واقتضتها حكمته، أما غير الله سبحانه فهو عاجز كل العجز أن ينفع نفسه فضلًا عن غيره، ولو أننا قرأنا كتاب ربنا بتدبر وإمعان لوجدنا الجواب الكافي والعلاج الشافي، وأكتفي بذكر آية واحدة من كتاب ربنا «لِذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (ق: ٣٧): قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ» (الرعد: ١٤).

والمعنى: «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِه» أي: من دون الله من سائر خلقه، «لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ»، أي: لا يجيبونهم بإعطائهم شيئًا مما يطلبون منهم: «إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ» أي: إلا كاستجابة من بسط يديه، أي: فتحها ومدهما إلى الماء، والماء في قعر البئر فلا كفاه تصل إلى الماء، ولا الماء يصل إلى كفيه وهو عطشان، ويظل كذلك حتى يهلك عطشًا، هذا مَثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء؛ فهو محروم من الاستجابة، خائب في مسعاه، ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، على الإيمان نحيا، وعلى التوحيد الخالص نموت، إنه وحده ولي ذلك والقادر عليه.

محاسبة النفس طريق النجاة

الحمدُ للهِ الَّذي هدانا للإسلام، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا اللهُ. والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمَّا بعدُ: فإنَّ محاسبة المسلم لنفسه بصدق هو سبيل سعادته في الدنيا والآخرة، فأقول وبالله تعالى التوفيق.

إعداد **صلاح نجيب الدق**

تعريف المحاسبة:

المحاسبة: هي مُساءلةُ المسلم لنفسه بصدقٍ عن كُلِّ قولٍ أو عملٍ يصدرُ منه. (تزكية النفس - أحمد فريد - صـ٧٢)

قالَ اللهُ تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر:١٨)

قالَ الإمامُ ابنُ كثير (رحمَهُ اللهُ): قوْلُهُ: (ولْتنْظُرْ نَفْسٌ مَا قدَّمَتْ لغد) أيْ: حَاسبُوا أنْفُسَكُمْ قَبْلَ أنْ تُحَاسَبُوا، وانْظُرُوا ماذَا ادَّخرْتُمْ لأنْفُسكُمْ منَ الأَعْمالِ الصالحة ليوم معادكُمْ وعرضكُمْ على ربكُمْ.

قوْلُهُ: (إنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بمَا تعْمَلُونَ) أي: اعْلَمُوا أنَّهُ عالمٌ بجَميع أعْمَالكُمْ وأحْوالكُمْ لا تخفَى عَلَيْه منْكُمْ خَافيَةٌ، وَلا يَغيبُ عَنْهُ منْ أُمُوركُمْ جَليلٌ ولا حَقيرٌ. (تفسير ابن كثير - جـ٨ - صـ ٧٧)

مشارطة النفس:

إذا أصْبحَ المُسْلمُ وَفرَغَ منْ فَريضَة الصُّبْح يَنْبَغي أنْ يُفَرِّغَ قلْبَهُ لمُشارَطة نفْسه فيَقُولَ: يا نفْسُ: ما لي بضاعةٌ إلَّا العُمُرُ، فإذا فَنِيَ فقدْ فَنِيَ رأْسُ المالِ ووقعَ اليأْسُ عنِ التِّجارةِ وطلبِ الرِّبحِ، وهذا اليومُ الجديدُ قدْ أمْهلَني اللَّهُ فيه وأنْسأَ في أجْلي وأنْعَمَ عليَّ به، ولوْ توفَّاني لكُنْتُ أتمنَّى أنْ يُرْجعَني إلى الدُّنْيَا يوْمًا واحدًا حتَّى أعْمَلَ فيه صالحًا، فاحْسَبي أنَّك قدْ تُوُفِّيت ثُمَّ قدْ رُددْت فإيَّاك ثُمَّ إيَّاك أنْ تُضَيِّعي هذا اليوْمَ، فإنَّ كُلَّ نفَس من الأنْفاس جوْهَرةٌ لهَا قيمةٌ، فلا تَميلي إلى الكَسلِ والدَّعةِ والاستراحَةِ فيفُوتك منْ

دَرجَاتِ علّيين مَا يُدرِكُهُ غيرُكَ وتَبقَى عندَكَ حسرةٌ لا تُفارِقُكَ، وإنْ دَخلْتَ الْجنَّةَ. (موعظة المؤمنين - جمال الدين القاسمي - ص ٣٠٦)

أقوال السلف الصالح في محاسبة النفس:

سوف نذكر بعض أقوال سلفنا الصالح في محاسبة النفس:

(١) قَالَ عُمَرُ بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّ أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ تَزِنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ. (الزهد - أحمد بن حنبل - ص٩٩ - ص ٦٣٣)

(٢) قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ (رحمهُ اللهُ) في قوله تعالى: (وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ) (الْقِيَامَة: ٢): لا يَلْقَى الْمُؤْمِنُ إلّا يُعَاتِبُ نَفْسَهُ مَاذَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي مَاذَا أَرَدْتُ بِأَكْلَتِي مَاذَا أَرَدْتُ بِشَرْبَتِي وَالْعَاجِزُ يَمْضِي قُدُمًا لا يُعَاتِبُ نَفْسَهُ. (محاسبة النفس - لابن أبي الدنيا - ص٢٤ - رقم: ٤)

(٣) قَالَ مَسْرُوقٌ (رَحِمَهُ اللّهُ): إِنَّ الْمَرْءَ لَحَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَجَالِسُ يَخْلُو فِيهَا فَيَذْكُرَ فِيهَا ذُنُوبَهُ فَيَسْتَغْفِرَ مِنْهَا. (الزهد - لأحمد بن حنبل - ص ٢٨٣ - رقم: ٢٠٣٨)

(٤) قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ لِنَفْسِهِ: أَلَسْتِ صَاحِبَةَ كَذَا؟ أَلَسْتِ صَاحِبَةَ كَذَا؟ ثُمَّ ذَمَّهَا ثُمَّ خَطَمَهَا، ثُمَّ أَلْزَمَهَا كِتَابَ اللَّهِ؛ فَكَانَ لَهَا قَائِدًا. (محاسبة النفس - لابن أبي الدنيا - ص٢٥ - رقم:٨)

(٥) قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ (رَحِمَهُ اللَّهُ): لا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ. (سنن الترمذي - جـ٤ - ص ٢١٩)

(٦) قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَثَّلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ، آكُلُ ثِمَارَهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَأُعَانِقُ أَبْكَارَهَا، ثُمَّ مَثَّلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ، آكُلُ مِنْ زَقُّومِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ صَدِيدِهَا، وَأُعَالِجُ سَلَاسِلَهَا وَأَغْلَالَهَا؛ فَقُلْتُ لِنَفْسِي: أَيْ نَفْسِي، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدِينَ؟، قَالَتْ: أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا؛ فَأَعْمَلَ صَالِحًا قَالَ: قُلْتُ: فَأَنْتِ فِي الأُمْنِيَةِ فَاعْمَلِي. (محاسبة النفس - لابن أبي الدنيا - ص٢٦ - رقم: ١٠)

(٧) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السِّنْدِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): جَاءَ رَجُلٌ إِلَى يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ (رحمهُ اللهُ)، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حَتَّى رَأَيْتُكَ قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ: أَخْبِرْنِي مَا غَايَةُ الْوَرَعِ؟ قَالَ: مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ مَعَ كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَالْخُرُوجُ

> قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ لِنَفْسِهِ: أَلَسْتِ صَاحِبَةَ كَذَا؟ أَلَسْتِ صَاحِبَةَ كَذَا؟ ثُمَّ ذَمَّهَا ثُمَّ خَطَمَهَا، ثُمَّ أَلْزَمَهَا كِتَابَ اللَّهِ؛ فَكَانَ لَهَا قَائِدًا.

عنْ كُلِّ شُبْهَة. (الزهد الكبير للبيهقي - صـ٣١٤ - رقم: ٨٤٠)

(٨) قال الحسَنُ بنُ عليٍّ الدَّقاق (رحمه الله): أصلُ الطَّاعة الوَرَع، وأصلُ الوَرَع التُّقى، وأصلُ التُّقى مُحاسبةُ النَّفس، ومُحاسبةُ النَّفس من الخَوف والرَّجاء، والخَوفُ والرَّجاءُ من المعرفة، وأصلُ المعرفة لسانُ العلم والتفكُّر. (الزهد الكبير للبيهقي - صـ٣١٤ - رقم: ٨٤١)

أنواع محاسبة النفس:

مُحاسبةُ النَّفس نوعان: مُحاسبةُ النَّفس قبلَ العمل، ومُحاسبةُ النَّفس بعدَ العمل.

أولاً، محاسبة النفس قبل العمل:

المقصودُ بذلك هُو أنْ يقفَ المسلمُ عندَ أول همَّته وإرادته ولا يُبادرُ بالعمل حتى يتبيَّن له رُجحانُه على تركه.

قالَ الحسَنُ البصريُّ (رحمه الله):

رحم اللهُ عبدًا وقفَ عندَ همِّه، فإنَّ أحدًا لا يعملُ حتى يهمَّ، فإنْ كانَ لله عزَّ وجلَّ مضى، وإنْ كانَ لغيرِ اللهِ أمسكَ. (شعب الإيمان - للبيهقي - جـ٩ - صـ ٤١١ - رقم: ٦٨٩٤)

شرح قول الحسن البصري:

شرحَ أحدُ العُلماءِ قولَ الحسن البصري فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهمَّ به العبدُ وقف أولاً، ونظر: هل ذلك العمل مقدور له أم غير مقدور ولا مستطاع؟ فإن لم يكن مقدورا لم يُقدم عليه، وإن كان مقدوراً وقف وقفة أخرى ونظر: هل فعلُه خير من تركه، أو تركه خير من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يُقدم عليه، وإن كان الأولُ وقف وقفة ثالثة، ونظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله وثوابه، أم إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يُقدم عليه وإن أفضى به إلى مطلوبه؟ لئلا تعتاد النفس الشرك، ويخص عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله، حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف وقفة أخرى، ونظر: هل هو مُعانٌ عليه، وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجاً إلى ذلك؛ أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه، كما أمسك النبيُّ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصار، وإن وجده مُعاناً عليه فليُقدم عليه فإنه منصور بإذن الله تعالى.

فهذه أربع مقامات، يحتاج العبد إلى محاسبة نفسه عليها قبل الفعل. (إغاثة اللهفان - لابن القيم - جـ١ - صـ١٣٨)

ثانياً، محاسبة النفس بعد العمل.

مُحاسبةُ النَّفس بعدَ العملِ ثلاثةُ أنواعٍ وهيَ:

(١) مُحاسبةُ النَّفس على طاعةٍ قصَّرتْ فيها منْ حقِّ الله، فلمْ تُوقعْها على الوجهِ الذي ينبغي.

وحقُّ اللهِ في الطَّاعاتِ بمُراعاةِ ستَّةِ أمورٍ وهيَ: الإخلاصُ في العملِ والنصيحةُ للهِ فيه ومُتابعةُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيهِ وشُهودُه مشهدَ الإحسانِ فيه، وشُهودُ منَّةِ اللهِ عليهِ فيهِ، وشُهودُ تقصيرِه فيه بعدَ ذلكَ كُلِّه، فيُحاسبُ نفسَهُ: هلْ وفَى هذه المقاماتِ حقَّها، وهلْ أتى

في هذه الطّاعات.

(٢) مُحاسبةُ النَّفْسِ على عملٍ كانَ تركُهُ خيرًا لهُ من فعله.

(٣) مُحاسبةُ النَّفْسِ على أمرٍ مباحٍ أوْ مُعْتادٍ لِمَا فعلَهُ، وهَلْ أرادَ بِهِ الله والدَّارَ الآخرة، فيكونُ رابحًا فيه أوْ أرادَ به الدُّنيا وعاجلَها فيخسرُ ذلكَ الرِّبْحَ ويفوتُهُ الظّفرُ به.
(إغاثة اللهفان - لابن القيم .صـ١٣٨:١٣٩)

الأسباب المعينة على محاسبة النفس:

هناك أسباب تعين الإنسان على محاسبة نفسه وتسهل عليه ذلك منها:

(١) معرفته أنه كلما اجتهد في محاسبة نفسه اليوم استرح من ذلك غداً، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غدًا.

(٢) معرفته أن ربح محاسبة النفس ومراقبتها هو سكنى الفردوس، والنظر إلى وجه الرب سبحانه، ومجاورة الأنبياء والصالحين وأهل الفضل.

(٣) النظر فيما يؤول إليه ترك محاسبة النفس من الهلاك والدمار، ودخول النار والحجاب عن الرب تعالى ومجاورة أهل الكفر والضلال والخبث.

(٤) صحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم ويطلعونه على عيوب نفسه، وترك صحبة من عداهم.

(٥) النظر في أخبار أهل المحاسبة والمراقبة من سلفنا الصالح.

(٦) زيارة القبور والتأمل في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون محاسبة أنفسهم أو تدرك ما فاتهم.

(٧) حضور مجالس العلم والوعظ والتذكير فإنها تدعو إلى محاسبة النفس.

(٨) قيام الليل وقراءة القرآن والتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات.

(٩) البعد عن أماكن اللهو والغفلة فإنها تنسي الإنسان محاسبة نفسه.

(١٠) ذكر الله تعالى ودعاؤه بأن يجعله من أهل المحاسبة والمراقبة، وأن يوفقه لكل خير.

(١١) سوء الظن بالنفس ومقتها في جنب الله تعالى، فإن حسن الظن بالنفس ينسي محاسبة النفس، وربما رأى الإنسان - بسبب حسن ظنه بنفسه - عيوبه ومساوئه كمالاً.

(فصل الخطاب في الزهد - محمد عويضة - جـ٥ - صـ٤٤١)

فوائد محاسبة النفس

نستطيعُ أن نُوجزَ فوائد محاسبة المسلم لنفسه في الأمور التالية:

(١) إطلاعُ المسلم على عُيوب نفسه، فمَنْ لمْ يطّلعْ على عيوب نفْسه لمْ يُمكنهُ إزالتها.

(٢) لوْلا أنَّ الله تعالى وفَّق العبدَ لمحاسبة نفْسه لشقيَ يوْمَ القيامة.

(٣) محاسبةُ النَّفْس منَ الكياسة.

(٤) استراحةُ المحاسب منَ التَّعب الطَّويل يوْم القيامة.

(٥) المحاسبُ لنفْسه لا يتحسَّرُ يوْمَ القيامة كالذين لمْ يُحاسبُوا أنْفُسهم.

(٦) تمْرينُ النَّفْس على العبادة والمداومة على ذكر الله ليْلاً ونهارًا.

(موارد الظمآن - عبد العزيز السلمان - جـ١ - صـ ١٩٨)

وآخرُ دعْوانا أن الحمْدُ للَّه ربِّ العالمين. وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله، وأصحابه، والتَّابعين لهُمْ بإحْسانٍ إلى يوْمِ الدِّين.

> وحقُّ الله في الطّاعات بمراعاة ستّة أمور وهي: الإخلاص في العمل والنصيحة لله فيه ومتابعة الرّسول صلى الله عليه وسلم فيه وشهوده

فصول من

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

كيفية زواج النبي صلى الله عليه وسلم وموافقتها لاصطفاء الله تعالى له

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فثبت في الأحاديث الصحيحة: أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل البعثة ببضع عشرة سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وعقلا وفضلا وشرفا ونبلا وطهارة وعفة.

وهي أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها حتى ماتت قبل الإسراء والمعراج.

إعداد د. سعيد صوابي

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُثني عليها، ويُظهر محبتها، ويتأثر عند ذكرها بعد وفاتها؛ لتطمينها إياه عند نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم ولمبادرتها إلى تصديقه والايمان بما نزل عليه، وغير ذلك من مواقفها المحمودة التى تدل على مكانتها السامية في الإسلام.

وكل أولاده صلى الله عليه وسلم منها سوى إبراهيم؛ حيث ولدت له أولاً: القاسم - وبه كان يكنى- ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبدالله-، وكان عبدالله يلقب بالطيب والطاهر- ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن، غير أن الوفاة أدركتهن في حياته صلى الله عليه وسلم سوى فاطمة رضي الله عنها؛ فقد تأخرت بعده صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، ثم لحقت به.

وقد ظلت أم المؤمنين خديجة تؤازر وتناصر وتؤنس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما عند الشدائد.. إلى أن تُوفيت رضي الله عنها قبل الهجرة النبوية إلى المدينة بثلاث سنين في العام نفسه الذي توفي فيه أبو طالب؛ كما ذكر ذلك هشام بن عروة، عن

أبيه، عند البخاري (فتح الباري: ٧/٢٢٤ ح ٣٨٩٦).

قال الحافظ ابن حجر: «خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، تجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي، وهي أول من تزوجها صلى الله عليه وسلم، وهي من أقرب نسائه إليه في النسب، ولم يتزوج غيرها من ذرية قصي إلا أم حبيبة» (فتح الباري ٧/١٣٤).

واسم أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة أثناء هجرتها إلى أرض الحبشة، وبالرغم من صغر سنّها: إلا أنها أقرب في النسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث تلتقي معه في عبد مناف بن قصي.

أما أمّ المؤمنين: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي؛ فإنها تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي بن كلاب.

وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين خديجة؛ وهو في سن الخامسة والعشرين، في قول الجمهور.

وقد أجمع أهل العلم على أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل البعثة، وذلك استنباطًا من الأحاديث الصحيحة، كما ترجم البخاري في: كتاب مناقب الأنصار، في صحيحه بقوله: باب تزويج النبي خديجة وفضلها رضي الله عنها.

وأما تفاصيل الزواج، وكيف حصلت الخطبة وتم العقد، ومن الذي كان وليها في النكاح؛ فقد اختلفت الروايات في ذلك، وكلها ضعيفة: بل منها ما هو واه، وفي هذه الحالة يجب على كل مؤمن أن يقبل منها ما رجّحه الجمهور، وما يليق بمقام خاتم الأنبياء وخير الخلائق على الإطلاق صلى الله عليه وسلم، وما يتفق مع حفظ الله وصيانته وعصمته لنبيه صلى الله عليه وسلم ورعايته وعنايته به، وما يوافق الشرع الشريف وسنة الله تعالى في اصطفائه لأنبيائه وتطهيرهم من كل دنس أو شائبة كما قال تعالى: (وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) (سورة ص: ٤٧).

بل: كيف يكون تعهده- تبارك اسمه- لصفوتهم وأشرفهم وأكملهم... صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

> ظلت أم المؤمنين خديجة تؤازر وتناصر وتؤنس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما عند الشدائد.. إلى أن تُوفيت رضي الله عنها قبل الهجرة النبوية إلى المدينة بثلاث سنين.

من أخلاق حَملة القرآن:

الاجتهاد في العبادة، الجود والإنفاق وجهادهم في سبيل الله تعالى

إعداد د/ أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمن سمات أهل القرآن أنهم يجمعون بين العلم والعمل، والاجتهاد في العبادة.

ومن صفحات كتاب (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار) للإمام الذهبي نطالع شيئًا من سيرتهم في التعبد:

- الأسود بن يزيد النخعي الكوفي (ت٧٥):

من أئمة التابعين، أخذ القراءة عرضًا عن ابن مسعود، كان يختم القرآن في كل ست، سئل عنه الشعبي فقال: «كان صوامًا قوَامًا حجَاجًا»، وقال عنه علقمة بن مرثد: «كان الأسود يصوم حتى يخضر جسده، ولقد حج ثمانين مرة من حجة وعمرة»(ص ٢٩).

- أبو عبدالرحمن السلمي (ت٧٤):

مقرئ أهل الكوفة، قال عطاء بن السائب: «دخلنا على أبي عبدالرحمن نعوده، فذهب بعضهم يرجيه، فقال: «أنا أرجو ربي، وقد صمت له ثمانين رمضان»(ص٣٧).

- عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧):

قال عنه أبو بكر (الراوي عنه): «كان إذا صلى ينتصب كأنه عود، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابدًا خيرًا، أبدًا يصلي، ربما أتى حاجة فإذا رأى مسجدًا قال: مل بنا، فإن حاجتنا لا تفوت، ثم يدخل فيصلي»(ص٨٠).

- حمزة بن حبيب الزيات (١٥٦):

قال عبيد بن موسى: «كان حمزة يقرئ القرآن حتى يتفرق الناس، ثم ينهض فيصلي أربع ركعات، ثم يصلي ما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء، وحدثني بعض جيرانه أنه لا ينام الليل، وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن»(ص١١٦).

- أبو سماك قعنب بن هلال العدوى البصري:

قال أبو حاتم السجستاني: «كان يقطع ليله قيامًا، ونهاره صيامًا، ولم يقرئ الناس بل أخذت عنه هذه القراءة في الصلاة»، وقال أبو زيد: «وهب مروان بن محمد أبا سماك ألف دينار، فو الله ما ترك منها حبَة، بل تصدق بها، فقلنا: لو تركت شيئًا لولدك؟ قال: الله لهم ولي»(ص ١٦٠).

- ابن الزرز محمد بن أحمد بن مرشد الدمشقي:

قرأ على هارون الأخفش، وقرأ عليه عبدالباقي بن السقاء ثلاث ختمات، وقال: «كان من خيار المسلمين، صابرًا على صيام الدهر، ولزوم الجماعة»(ص٣٣٤).

- ابن جابر أحمد بن عبد الله الأزدي

الإشبيلي المقرئ العابد (ت ٥٣٦):

«أمَّ وأقرأ بمسجد بلده ستين عامًا، وجاور بالمسجد لا يخرج إلا لحاجة، أو الجمعة، وكان من كبار الصالحين» (ص٥٣١).

- ابن سكينة عبد الوهاب بن الأمين البغدادي المقرئ (ت٧٠٧):

«قال عنه ابن النجار: عُمِّرَ حتى حدث بجميع مروياته مرارًا، وقصده الطلبة من البلاد، وكانت أوقاته محفوظة، فلا يمضي له ساعة إلا في قراءة أو ذكر أو تهجد، أو تسميع، وكان كثير الحجِّ والمجاورة والوضوء، لا يخرج من داره إلا لحضور جمعة أو عيد أو جنازة، ولا يأتي الرؤساء، ويديم الصوم غالبًا، ويستعمل السُّنة في أموره، وكان يتواضع لجميع الناس، وكان ظاهر الخشوع، غزير الدمعة، قد أُلبس رداء من البهاء وحُسن الخِلْقة وقبول الصورة وجلالة العبادة، كانت له في القلوب منزلة عظيمة، صحبته قريبًا من عشرين سنة، وطُفْتُ البلاد ما رأيتُ أكمل منه ولا أكثر عبادةً ولا أحسن سمتًا، قرأت عليه بالروايات، وكان ثقةً حُجة» (ص ٦٢٤).

ومن أخلاقهم: الجود والإنفاق:

قال الله تعالى: «إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيده من فضله إنه غفور شكور» (فاطر: ٢٩-٣٠)، وهذه آية القُرَّاء.

- الشهرزوري المبارك بن الحسن أبو الكرم البغدادي:

المقرئ مصنِّف كتاب المصباح الزاهر في العشرة البواهر (مات قبل سنة خمسمائة): قال ابن النجار: «كان عالمًا فاضلاً، ديِّنًا، حَسن الطريقة، ذا مروءة وصُولاً لأهله، كانت له دنيا واسعة فأنفقها كلها على أهل الخير» (ص٥٤٨).

- ابن هذيل علي بن محمد أبو الحسن البلنسي المقرئ (ت٥٦٤):

«قال الأبَّار: كان صوامًا قوامًا كثير الصدقة، وكان يتصدق على الأرامل واليتامى، فقالت له زوجته: إنك لتسعى بهذا في فقر أولادك، فقال لها: لا والله، بل أنا شيخ طمّاع أسعى في غناهم» (ص ٥٥١-٥٥٢).

- الهمذاني الحسن بن أحمد أبو العلاء العطار (ت ٥٦٩):

«كان من أبناء التجار فأنفق في طلب العلم جميع ما ورثه؛ حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مرات ماشيًا حاملاً كتبه على ظهره» (ص ٥٧٦).

- الأصبهاني محمد بن عبد الرحيم (ت٢٩٦):

قرأ على ورش وكان إمامًا في روايته عنه، قال: «رحلتُ إلى مصر، ومعي ثمانون ألفًا، فأنفقتها على ثمانين ختمة» (ص ٢٦٣).

وأهل القرآن كما أنهم رهبان الليل، فمنهم فرسان النهار.

جهادهم واستشهادهم في سبيل الله تعالى:

- عثمان بن عفان رضي الله عنه:

قُتلَ مظلومًا شهيدًا صابرًا محتسبًا سنة خمس وثلاثين (ص٩).

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قُتلَ شهيدًا سنة أربعين، وما على وجه الأرض يومئذ بَدْريٌّ أفضل منه (ص١١).

- سعيد بن جبير:

الإمام المقرئ المفسر قُتل شهيدًا سنة خمس وتسعين، قال ميمون بن مهران: «مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه» (ص٤٩).

- الكلاعي سليمان بن موسى:

المقرئ عالم أهل الأندلس في زمانه، تلا بالسبع على أصحاب ابن هذيل، قتل بإذن الله شهيدًا مقبلاً غير مدبر سنة ٦٣٤هـ. (ص٦٨٢).

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تتباهى بها البيوت

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد

☎ 23936517

تمور الطحان ®
أصالة الزمان
حاصلة على شهادة
ISO 22000
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

قلعة صناعة التمور فى مصر